السبت 8 تشرين الأول 2022
العدد 4747 السنة السابعة عشرة
Samedi 8 Octobre 2022 nº 4747 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

موسوليني يطلّ برأسه

جيش الاحتلال يواصل الارتداع من المقاومة والإربا السياسي مستمر

لبنان يرفض التعديل: حقّنا ثمن الاستقرار [2]

اطلب القوس مع الأخبار

السعودية - أميركا
تصاعد التمرّد
[8 ـ 9]

تحتجب «الأخبار» يوم الاثنين لمناسبة ذكرى المولد النبوي

(أ ف ب)

البلاد

انتفاضة شعب
المعجزة وذاكرة المستقبل
[12]

أهل الأرض
عرين نابلس
[13]

شتات
مخيّم اليرموك
عودة إلى حياة مؤجّلة
[14]

قضية اليوم

في وقت هدأ «القصف» السياسي الإسرائيلي على مشروع اتفاق الترسيم البحري مع لبنان، تسلّم نائب رئيس مجلس النواب الياس بو صعب من الوسيط الأميركي عاموس هوكشتين رسالة تتضمن الملاحظات الإسرائيلية على المسودة وتعليقات العدو على التعديلات اللبنانية المقترحة، وسط مناخات في بيروت لا توحي بوجود عقبات كبيرة، مقابل انشغال العدو بانعكاسات موقفه من المطالب اللبنانية على الجمهور الإسرائيلي.

وفيما أعلن الرئيس نبيه بري أن لبنان غير معني بكل السجال الإسرائيلي المتعلق بالانتخابات، شدّد مصدر رسمي على أن ليس للبنان ما يقدمه من تنازلات، وهو الموقف الذي نقله زوار الرئيس ميشال عون عنه أمس، وفيه أن لبنان «يقف على أرض ثابتة، وقال ما لديه عن وعي وعلم، وأن الرد على آخر رسالة من هوكشتين سيكون واضحاً وقريباً جداً». بينما أعلن عضو شورى حزب الله الشيخ محمد يزبك أنه «لن يكون هناك استخراج من كاريش قبل تحقيق مطالب لبنان».

وقال المصدر إن الجميع، وعلى رأسهم الولايات المتحدة، يعرفون أنه لا يمكن التسويف والمماطلة في الملف أكثر مما حصل حتى الآن. كما يعرفون أن لبنان لا يهتم بالتهديدات الصادرة عن قادة العدو السياسيين والعسكريين. وأن المعادلة واضحة وبسيطة: الاستقرار ثمنه حصول لبنان على كامل حقوقه.

وتحدث المصدر عن مساعٍ أميركية للعمل على صياغات مختلفة للبنود الواردة في المسودة، مشدداً على أن أي محاولة جديدة لإطاحة تعديلات لبنان ستواجه بالرفض، خصوصاً المسألتين اللتين تتعلقان بخط الطفافات حيث يصر لبنان أنه لا صفة قانونية لهذا الخط لا الآن ولا لاحقاً، وأن ما يجري هو ترسيم لحدود المناطق الاقتصادية وليس للحدود بين طرفين، كما أن للبنان الحق الكامل في العمل في حقل قانا وغيره من دون انتظار موافقة مسبقة من العدو بحجة أن إسرائيل تريد اتفاقاً مع شركات التنقيب.

وعلمت «الأخبار» من مصادر بارزة أن الفرنسيين دخلوا على الخط بعد التصعيد الإسرائيلي. ونقل الجانب الفرنسي رسالة عبرَ رئيس الحكومة نجيب ميقاتي بأن «إسرائيل لا تنوي التصعيد». وقالت المصادر إن «الأميركيين يقفون وراء الموقف الإسرائيلي لا سيما في النقطة المتعلقة بالتعويض المالي، فالولايات المتحدة هي وراء فكرة التعويض لمساعدة حكومة لابيد على مواجهة الحملة التي يتعرض لها قبل الانتخابات الإسرائيلية». والإصرار على كلمة تعويض «يهدف إلى تصوير كأن إسرائيل نجحت في انتزاع إقرار لبناني بأحقيتها في حقل قانا».

(الأخبار)

الإعلام العبري: جيش إسرائيل يواصل الارتداع... من نصرالله

لم يجرِ الإعلام العبري مقاربة إسرائيل التهويلية التي مارسها صاحب القرار السياسي في تل أبيب، بعد أن أعلن رفضه للملاحظات اللبنانية على مسودة اتفاق الحدود البحرية. مقاربة المعلقين جاءت باتجاهين اثنين، أكدا اللايقين من جهة، واللاتماهي من جهة ثانية.

كاد أن يكون الرفض جامعاً للتصريحات الصادرة عن وزير الأمن، بني غانتس، بالإعلان عن الاستعدادات لمواجهة حزب الله، مع نشر معطيات عبر الناطق العسكري غانتس وسمعته.

وزعت على الإعلاميين، تؤكد الاستعداد والجاهزية، والعمل على احتواء مبادرة قد يقدم عليها حزب الله. الأمر الذي أدى إلى بلبلة بين المستوطنين، وإلى صرخة لم يسمع مثيل لها في السنوات الأخيرة الماضية. وصف عدد من المراسلين كلام غانتس التهديدي بالمكرر، وأنه نوع من الدعاية والعلاقات العامة، بل وأكد عددٌ من المراسلين أن لا استعداد ولا جاهزية كما جرى الحديث عنها، بل كلام إعلامي وتخويف، لا يتوافق مع مهنية إلا أن أهم ما صدر أمس من تعليقات، يرتبط بـ«عراضة» رفض الملاحظات اللبنانية، التي توزعت بين رافض ومشكك وبين من تحدث عن الأسباب الداخلية التي دفعت إليها، في حين ركز آخرون على التساؤل عن أهمية الرفض، كما الملاحظات، من ناحية إسرائيل، التي كل همها واندفاعتها للاتفاق جاءت على خلفية منع تهديد حزب الله والانجرار إلى حرب. وكان لصحيفة «هآرتس» مطالعة مطولة عن سجالات الداخل الإسرائيلي المرتبطة بكلمة «رضوخ لابيد لحزب الله»، التي جعلها نتنياهو جزءاً رئيسياً من السجال، بعد أن نعت لابيد، مرات ومرات، بأنه يرضخ لإرادة أمين عام حزب الله.

وفقاً لـ«هآرتس»، الحديث عن الرضوخ، المرتبط بالذعر من حزب الله، يجب أن يوجه إلى الجيش الإسرائيلي، الذي ما زال يرتعد من هذا التنظيم، بل ومن يرفض ذلك عليه أن يقرأ توصية المؤسسة الأمنية للمجلس الوزاري المصغر، أين تنبع الحاجة «منع تصعيد أمني متوقع باحتمالية عالية»؟ مع من يُتوقع «تصعيدٌ أمني باحتمالية عالية»، مع الجيش اللبناني؟

وتخلص الصحيفة إلى النتيجة التي لا يراد الإقرار بها علناً في إسرائيل:

صعب ومؤلم، لكن نعم: الوثيقة توصي الحكومة بتبني إملاءات نصر الله «من أجل منع تصعيد أمني باحتمالية عالية»، وهي توصية صيغت، وفقاً لرأي أفيف كوخافي، هيرتسي هالفي، أهارون حاليفا، وزمرتهم في الأركان العامة. «فويل لنا أننا وصلنا إلى هذه النقطة».

صحيفة «إسرائيل اليوم» أشارت إلى أن المفاوضات مع لبنان باتت في مرحلة خطرة، حيث كل طرف يريد أن يكسب في المراحل الأخيرة من التفاوض، إلا أن عدم الاتفاق قد تؤدي إلى تصعيد خطير ولا طائل منه. ووفقاً للصحيفة، «من المنطقي الافتراض أن الأميركيين سيبذلون في الأيام المقبلة جهداً لإنقاذ الاتفاق، فالانفجار يؤدي إلى تداعيات سيئة لها انعكاسات أوسع من تلك التي على احتياطات الغاز في البحر المتوسط».

خسر الكيان رهاناته... وأصاب الحذر اللبناني

يحيى دبوق

سوء حظ رئيس الحكومة الإسرائيلية يائير لابيد، وشريكه وزير الأمن بني غانتس، في أن اتفاق الحدود البحرية مع لبنان يتبلور وهما في سدة الحكم.

اتفاق الحدود الذي تحول من اتفاق بين جانبين على ما يمكن انتزاعه من فوائد اقتصادية (و/أو سياسية) من الطرف الآخر، إلى اتفاق من نوع آخر يهدف إلى تجنيب إسرائيل تصعيداً ومواجهة هدد بهما حزب الله، لم يتساوق مع واقع لابيد - غانتس: إن كان للأمن أن يتقدم، فللاقتصاد والسياسة أن يتراجعا.

انطلاقاً من صفته السياسية، كان على لابيد أن يتحمل مسؤولية ما تتوصل إليه المؤسسة الأمنية من قرارات بعد أن وازنت خياراتها: الاتفاق مع لبنان ضرورة كي يمنع تصعيداً وحرباً في مواجهة حزب الله. «التوصيات» الواردة من العسكر، وأجبة الطاعة على السياسيين، التي عليها هي أن تعمل على تحسين وتغيير صورة الاتفاق وتداعياته ما أمكنها ذلك، ومن ضمنها، واقع الرضوخ أمام حزب الله.

لم تكن أمام لابيد فرصة للرفض. توصية الأجهزة الأمنية كما تبين لاحقاً جاءت قاطعة وحاسمة: «الاتفاق وإلا». فقرر أن يسحب المسؤولية عن المفاوضات من الطاقم المهني التابع لوزارة الطاقة، ليسلمها بالنيابة عنه إلى رئيس هيئة الأمن القومي إيال حولتا الذي قرر أن يلتزم بطبيعة «التوصيات» الأمنية، مع محاولة التشاطر تحت سقفها، بمعية الجانب الأميركي.

كان لحولتا أكثر من رحلة إلى واشنطن، التقى خلالها نظراءه في مجلس الأمن القومي، كما كانت لقاءاته واتصالاته دورية مع الوسيط عاموس هوكشتين. نجح حولتا في نقل الاتفاق إلى أعلى المستويات مع الإدارة الأميركية، إذ خاض معها نقاشات مستفيضة، ويفترض أن السقف الذي حدده حولتا لنفسه كان يتحرك إلى جانب السقف المفروض من المؤسسة الأمنية في تل أبيب: الاتفاق نعم، لكن مع تحصيل ما أمكن، وإن عبر بنود ملغومة، حمالة أوجه.

توصل الطرفان الأميركي والإسرائيلي إلى مسودة اتفاق، استمر النقاش حول إخراجها طويلاً، مراعياً كما تبدى كل المطالب اللبنانية، مع تسريبات من هنا وهناك ركزت على ما «تنازلت» عنه إسرائيل وعلى المكتسبات اللبنانية، وهي تسريبات كانت من ناحية تل أبيب، جزءاً لا يتجزأ من المسودة كي تدفع الطرف اللبناني للقبول بها كما هي.

استغرق إنجاز المسودة كما عرضت لاحقاً، أسابيع طويلة، تخللتها خشية من أن يقدم حزب الله على «جرعات تذكيرية» قبل الاتفاق للدفع قدماً بالاتفاق نفسه، خاصة إن تلمس تسويفاً ومماطلة، وهو ما تكفل به هوكشتين الذي أفرط في استخدام تطمينات للجانب اللبناني كي يمنع التصعيد.

سوء حظ لابيد الثاني أن الاتفاق يتبلور عشية الانتخابات في إسرائيل. وهو ما دفع العامل الشخصي لديه، ولدى معارضيه، وفي المقدمة رئيس المعارضة بنيامين نتنياهو، للتعامل مع الاتفاق المتبلور بوصفه رافعة انتخابية. أفرط نتنياهو في استخدام الاتفاق انتخابياً عبر التصويب عليه، إلى الحد الذي دفع لابيد ومن معه، إلى التموضع دفاعياً في مواجهة الحملات عليه: رضوخ وإذعان لحزب الله، بل وخيانة وسوء أمانة وتفريط بالمصالح الاقتصادية والأمنية لإسرائيل.

ومع تطور الانتقادات، بات ينظر إلى الاتفاق بمنظور الصراع الداخلي على السلطة: إن كنت مع الاتفاق فأنت إلى جانب لابيد اليساري الخاضع والمفرط بالمصالح الإسرائيلية؛ وإن كنت ضد الاتفاق، فأنت مع نتنياهو اليميني، الحريص على موارد إسرائيل.

(أ ف ب)

> العرقلة جاءت في مصلحة لبنان بما يمنع وقوعه في فخ البنود الملغومة

كانت الأوضاع سيئة جداً من ناحية لابيد. علماً أن خضوعه الفعلي كان لإرادة المؤسسة الأمنية التي أرادت منع التصعيد والحرب في مواجهة حزب الله، وهو ما كان ليقدم عليه نتنياهو لو كان هو في سدة المسؤولية. ولو كان باستطاعة لابيد أن يركل التوقيع على الاتفاق إلى ما بعد الانتخابات لفعل من دون تأخير، لكن ما أعاق ذلك أن انتظار اليوم الذي يلي الانتخابات يتعارض مع انتهاء ولاية رئيس الجمهورية العماد ميشال عون قبل الانتخابات.

في العودة إلى اتفاق حولتا، أريد للمسودة أن تبدو مغرية للبنان، وأن تمنع حزب الله من التصعيد، بانتظار التوقيع: للبنان كل المنطقة التي كانت محلاً للنزاع عبر السنوات الـ12 الماضية، إلى الشمال من الخط 23؛ وللبنان حقل قانا وإن تجاوز الخط المتفق عليه (الخط 23) مهما توغل جنوباً؛ وللحد البحري جاء متطابقاً مع نقاط التعليم التي حددها لبنان لنفسه في السابق، فيما لإسرائيل أن تتلقى تعويضاً مالياً من شركة توتال، وليس من لبنان، كإجراء جانبي بينهما.

هناك من أراد توخي الحذر في لبنان، فدفع إلى تبني ملاحظات توضيحية على بنود المسودة، من شأن الاتفاق عليها أن لا يتيح لإسرائيل تفسير الاتفاق وفقاً لمصالحها بعيداً عما جرى تفسيره في لبنان. الحذر كان محله، والجهة التي دفعت إليه أصابت. وما تبين لاحقاً هو رفض إسرائيل القاطع للملاحظات يؤكد أن إرادتها اتجهت إلى «التذاكي» بالفعل. بالطبع لم تنه إسرائيل المفاوضات. فهي في الواقع مارست حقاً بصفتها جهةً تتفاوض وإن عبر وسيط، بأن ترفض ملاحظات وردتها من الطرف الآخر، وطالبت بإلغائها. لكنها من ناحية عملية فقدت ما كانت تعمل عليه، وباتت خياراتها ضيقة جداً، رغم رفضها الملاحظات.

الحذر اللبناني الرافض كما توصي به المؤسسة الأمنية؟ الرفض للملاحظات اللبنانية لا يتعارض مع السقوف الحاكمة لها وفقاً لتوصيات المؤسسة الأمنية في تل أبيب، خاصة أن نقطة النهاية لـ«يوم الدين»، جرى ترحيلها من جديد إلى أواخر الشهر الحالي، وفقاً لبيانات صدرت عن شركة «إنيرجيان» التي أكدت أن استخراج الغاز تأجل هذه المرة إلى أواخر الشهر، ما يعني تأجيل استحقاق تهديدات حزب الله أسابيع، وللمؤسسة السياسية استغلال هذه الفترة لتحصيل ما أمكن قبل العودة إلى الرضوخ.

الكرة الآن في الملعب اللبناني، الذي بات عليه أن يتمسك بالملاحظات أكثر بكثير من تمسكه بها قبل الرفض الإسرائيلي لها، فإن كانت قد تبلورت (الملاحظات) على خلفية الحذر، فهي الآن ضرورة على خلفية اليقين، وسوء نية الجانب الإسرائيلي تأكدت من جديد.

ما الذي حققه الرفض الإسرائيلي إلى الآن؟ تتعدد الإجابات:

أجلت إسرائيل عملياً التوقيع على الاتفاق لتكسب أسبوعاً أو أسبوعين تحاول خلالهما التغيير ما أمكن من بنوده بشكل أو بآخر، ما يضمن لها عوائد اقتصادية وأمنية، كانت تنوي أن تستحصل عليها عبر تلغيم الاتفاق كما ورد في مسودته.

في السياق أجلت عملية استخراج الغاز من كاريش، الأمر الذي يمكن الرهان عليه في أنه يمنع تنفيذ حزب الله تهديداته، وإن كانت تجازف بتلقي جرعة تذكيرية قد ترى أن بالإمكان احتواءها. وهو ما يفسر الإفراط في إطلاق التهديدات والإعلان عن الجاهزية والاستعداد «للحرب العالمية» في مواجهة حزب الله، كما ترددت في اليومين الماضيين.

لم يتجاوز لابيد ومن معه، المحددات الواردة من المؤسسة الأمنية، فهو لم يلغ الاتفاق ولم يفشل مبدئياً في إمكان التوصل إليه، كما لا يمكن للبنان الحديث عن إنهاء التفاوض، إلى ما قبل انتهاء ولاية رئيس الجمهورية في لبنان. أما المؤسسة الأمنية فلن ترفض، بطبيعة الحال، أن تنتظر إمكان تلقي إسرائيل ما أمكن في سياق الانتظار، طالما أن الوقت يسمح لها بذلك، قبل موعد مواجهة استحقاق تهديدات حزب الله.

حقق لابيد مرحلياً منافع شخصية له ولمن معه. لم يعد خائناً ومفرطاً بالمصالح الإسرائيلية، ولم يعد راضخاً لحزب الله. فها هو يعاند ويرفض ولا يساوم. الأمر الذي قلب التموقعات. ودفع نتنياهو ليقول إن ما يفعله لابيد جاء نتيجة معارضته هو للاتفاق.

ماذا بعد؟

بطبيعة الحال، لن يقدم الوسيط الأميركي على التدخل لثني الجانب الإسرائيلي عن مساعيه هذه، بل سيجاريه، مع محاولة تهدئة الجانب اللبناني، وتحديداً حزب الله، كي لا يقدم على تنفيذ «جرعات تذكيرية».

سينقل الوسيط الكرة إلى الملعب اللبناني، لتلقي ملاحظاته على رفض إسرائيل للملاحظات الأولى، مع تأجيل ما أمكن من تدخله إلى الحد الزمني الذي يشكل خطراً على التوصل إلى اتفاق، أو سيدفع حزب إلى التدخل، وعندها سيتدخل هو لإيجاد تسوية ما، هي في طبيعتها لن تكون صعبة كما تبدو عليه، من الناحية الإسرائيلية.

هل للبنان أن يتمسك بملاحظاته. يبدو أن رافعات الضغط التي في حوزته تتيح له ذلك. وما دفع إسرائيل الأمنية إلى القبول بالإملاءات اللبنانية ابتداء، وإن حاولت التشاطر عليه في السياق، ستعود إلى القبول بها لاحقاً، فما يحكم الموقف في تل أبيب هو الخشية من مواجهة عسكرية في مقابل حزب الله، وإن تراجعت هذه الخشية، سترتد سلباً على الاتفاق من ناحية إسرائيل، سواء قبل أو خلال أو بعد التوقيع عليه.

تقرير

فرنجيّة والرئاسة المؤجّلة: عضّ الأصابع يبدأ قريباً

فراس الشوفي

سنوات قاسية مرّت على رئيس تيار المردة سليمان فرنجيّة منذ 31 تشرين الأول 2016. انتخاب الرئيس ميشال عون، وما تلاه من صراع وقطيعة مع «العهد» ورئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل، ثمّ 17 تشرين والانهيار الاقتصادي والانتخابات النيابيّة الأخيرة، كلّها محطّات تمدّد فيها الشبح في رأس فرنجية.

لكن، على عكس كثيرين ممّن يهيّئون أنفسهم للاحتفال بنهاية عهد عون، يقارب رئيس المردة المرحلة المقبلة بعقليّة مختلفة. بالنسبة إلى فرنجية، لا يمكن تحميل مسؤوليّة ما حصل في البلد لعون أو باسيل كما يحلو لكثيرين تصوير الأمر. بالطبع، لا يرى سياسة ملائكية من باسيل، لكن هي تراكمات الماضي وأخطاء الحاضر القريب وتحوّلات الخارج، التي أوصلت الأمور إلى الانهيار، وبات الخروج من هذا المأزق التاريخي مسؤوليّة الجميع.

أمّا مستقبل البلد، كما يراه، فمفتوحٌ على كل الاحتمالات من دون سقوف دولية أو إقليمية. ولذلك فإن أيّ رئيس مقبل للجمهورية سيحمل كرةً من نار تحرقه أوّلاً، قبل الوصول إلى المخارج والانفراجات.

في بيت بنشعي، المناخ الخريفي صار مهيمناً. الهدوء يطغى على وجه فرنجية وصوته، على عكس ذلك الخريف قبل ست سنوات. حينها وصلت «اللقمة للتمّ»، قبل أن ينقلب المشهد رأساً على عقب، وتُعقَد تباعاً الاتفاق النووي الإيراني - الأميركي طريق قصر بعبدا أمام عون.

تعلّم فرنجية الدرس هذه المرّة. يتعامل مع الطموح الرئاسي على قاعدة «كلّه خير» من دون آمال نفسية، فلا يندفع، ولا يقوم باتصالات، يظهر على الإعلام «حياءً»، ويراقب كيف يتهيّأ الجميع لمرحلة فراغ رئاسي، لكن في الوقت نفسه، يبدو مطمئناً، قراءة الوقائع تجعله المرشّح الأوفر حظّاً للوصول إلى سدّة الرئاسة.

صحيح أن الحركة باتجاه الملفّ الرئاسي لا تزال باردة. لكن ملامح الصورة العريضة تشكّلت عند ثنائي حركة أمل وحزب الله في كيفية خوض هذا الاستحقاق بمرشّح واحد من الطرفين. مواصفات المرشّح بسيطة: التمسّك بعداء الدولة لإسرائيل والقدرة على التواصل مع الخارج والداخل، مع التأكيد على عدم تكرار تجربة ميشال سليمان ومنح الأميركيين رئيساً مجانياً. وإيّا يكن اسم الرئيس، فإن حماية دور التيار الوطني الحرّ ووجوده أمر أساسي.

> أياً يكن اسم الرئيس فإنّ حماية دور التيار الوطني الحرّ ووجوده أمر أساسي

أمّا رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، فرغم أن موقفه الأخير كان قاسياً على فرنجية بوصفه مرشح مواجهة وتحدّ، وتأييده الظاهر للنائب ميشال معوض، إلا أن أحداً من متابعي الملفّ الرئاسي لا يقتنع بأنه سيستمر في تصديق رواية الخلاف السوري مع حزب الله، ورغبة الحزب في عدم انتخاب فرنجية لإقصاء أيّ دور سوري مستقبلي. بل على العكس، ثمّة اقتناع بأن التفاهم مع جنبلاط على انتخاب فرنجية مسألة وقت، وفي مرحلة تقطيع الوقت تخفّف لعبة حرق الأسماء ضغوط الخارج.

(أرشيف ـ مروان طحطح)

باسيل معز إزامي؟

على مقلب باسيل، لا تبدو المسألة بهذه الإيجابية تجاه فرنجية. بالطبع، باسيل مرشّح جدّي مع كتلة من 20 نائباً، لكن في ظروف أقسى من ظروف فرنجية في ظلّ العقوبات الأميركية. صعوبة خيار باسيل تدفع أصواتاً عديدة في داخل التيّار الوطني الحرّ إلى المفاضلة بين فرنجية وقائد الجيش العماد جوزف عون، الذي يُحسب مرشّحاً جدياً هو الآخر. وبين هذا وذاك، يراهن باسيل على أمرين: الأوّل هو تأكده من أن حزب الله وحركة أمل ليسا بوارد القبول بجوزف عون رئيساً للجمهورية، ويزيد الأمر تأكيداً ما تسرّب عن رغبة أميركية في دعم ترشيح عون، رغم العلاقة المتقدّمة التي باتت تجمع حزب الله بقائد الجيش، بعد مرحلة فتور، تكلّلت أخيراً في التشكيلات العسكرية. وثانياً، هو إمكانية وصوله مع فرنجية إلى اتفاق على اسم رئيس يطمئنهما معاً. سعي باسيل مفهوم. ليس سهلاً عليه أن يسلّم رئاسة الجمهورية إلى رئيس شمالي من زغرتا، وهو يبني زعامة في البترون، ولا أن يقبل بشريك مسيحي «مضارب» له في الدور قرب فريق سوريا وحزب الله، وأن لا يتأثر بأصوات الرؤوس الحامية في التيار الوطني الحرّ، والتي قد يفضّل بعضها من باب النكاية وتراكمات السنوات الأخيرة أيّ مرشح على سليمان فرنجية.

يفهم فرنجية كل هذا، والحاجة إلى مصالحة مع البيئة العونيّة، ومصالحة باسيل مع بيئة المردة. وهو حين يقارب صورة الفريق، يدرك أن الوصول إلى تفاهم وتقديم التطمينات والضمانات للتيار الوطني الحرّ ممرّ إلزامي للحصول على دعم كتلة لبنان القوي للانتخابات الرئاسية. يؤكّد فرنجية رغبته في تنفيذ الإصلاحات التي يتفق عليها مع باسيل، من التدقيق الجنائي إلى ملفّ الكهرباء. لكن فرنجية لم يعتد أن يعمل بدفتر شروط ولا أن يقدم على خطوات من باب النكاية، حتى لو كلّفه ذلك خسارة أصوات التيار الوطني الحرّ وسدّة الرئاسة.

ماذا بعد الفراغ؟

«الانتخابات الرئاسية شأن دولي»، يصف مصدر دبلوماسي غربي تعقيدات الملفّ الرئاسي. حتى الآن، لم تحسم القوى الدولية موقفها، ولو أن ملامح التباين بين الأميركيين والفرنسيين والسعوديين بدأت تظهر. غياب الرؤية وصعوبة الاتفاق الداخلي يصعّبان وضع جدول زمني للفراغ الرئاسي، الذي يبدو حتى الآن أنه سيكون ملازماً لأزمة على مستوى الحكومة والمزيد من السقوط الاقتصادي والأمني والاجتماعي.

وفيما «تعشّ» المفاوضات في ملفّ الحدود البحرية، ينسج الأميركيون خططهم في حال فشل الوصول إلى الاتفاق النووي مع إيران، لمواجهة فريق المقاومة في الداخل، وتوسيع وجودهم العسكري والإسراع في إنجاز بناء السفارة.

قريباً يبدأ عضّ الأصابع في الملفّ الرئاسي على وقع الفراغ القاتل. سيبقى اسم فرنجية بعيداً عن بروفات الجلسات البرلمانية، إلى حين نضوج الحلّ ووصول فريق 8 آذار والتيار الوطني الحر إلى التوافق على مرشّح «مدّ اليد». ومهما يكن من خيار، لا يحتمل فرنجية أن يكون الانقسام داخل 8 آذار والتيار ثمناً للرئاسة.

قضية يصعب نصح سكان مخيم الريحانية بالتفاؤل بإمكان التخلّص سريعاً من الكوليرا، إلا إذا تحرّك المسؤولون جدياً لمعالجة الظروف غير الإنسانية التي يعيش فيها النازحون. النظافة والمياه النظيفة هما العلاج، الذي يبدو مستحيلاً في مكان يعاد فيه تدوير المياه لاستخدامها لاكثر من سبب وسبب

مخيم الريحانية: الكوليرا لن تنحسر قريباً

محمد ملص

رغم طغيان مظاهر الفقر على مخيّم الريحانية، إلا أنها ليست أوّل ما يلفت نظر زائره أمس. الخيم المتلاصقة، والتي تفصل بينها ممرات ضيقة، تكاد تغرق بالمياه الآسنة. ولدى السؤال عن مصدرها، يتبيّن أن الأهالي ينظفون الخيم «عم نشطف، لكننا نحتاج إلى مطهرات وأدوية تعقيم لمواجهة انتشار الكوليرا». هنا، لا بنى تحتية، ولا شبكات صرف صحي كما لا توجد شبكات لنقل المياه النظيفة. حتى خزّانات المياه المخصصة لاستعمال المياه النظيفة يظهر عليها اللون الأخضر وتكسوها الحشائش بالإضافة إلى أنها مكشوفة. كلّ ما في المخيم يؤكد أن الكوليرا، التي ظهرت أولى الحالات فيه، لن تنحسر قريباً.

أزمة مياه

تنجم الكوليرا بسبب غياب النظافة الشخصية، نتيجة الشحّ في مياه الشرب، أو في حالة اختلاط مياه الصرف الصحي مع غياب شبكات التصريف، وغالباً ما يكون سببه تكاد تغرق بالمياه الآسنة. ولدى السؤال عن مصدرها، يتبيّن أن الأهالي ينظفون الخيم «عم نشطف، لكننا نحتاج إلى مطهرات وأدوية تعقيم لمواجهة انتشار الكوليرا». هنا، لا بنى تحتية، ولا شبكات صرف صحي كما لا توجد شبكات لنقل المياه النظيفة. حتى خزّانات المياه المخصصة لاستعمال المياه النظيفة يظهر عليها اللون الأخضر وتكسوها الحشائش بالإضافة إلى أنها مكشوفة. كلّ ما في المخيم يؤكد أن الكوليرا، التي ظهرت أولى الحالات فيه، لن تنحسر قريباً.

تخوّف من ازدياد الحالات

الحالة الأولى التي سُجّلت تعود إلى خالد.ع. (51 سنة)، الذي كان في زيارة إلى أقربائه في سوريا، وبعد عودته بأيام ظهرت عليه عوارض المرض وجرى نقله إلى مستشفى حلبا الحكومي، حيث أكد مصدر طبي أن «حالة المريض مستقرة، يعاني من حالة تهريب للمياه من الجسم وهو يحتاج إلى عناية طبية للحدّ من فقدان المياه». وفيما يتداول الأهالي خبراً عن حالة وفاة لطفل يبلغ من العمر سبع سنوات، لم تصدر أيّ معلومات طبية

> **نعيد تكرير المياه بطرق بدائية فنصفّيها عبر قطع قماش ونعيد استعمالها في الغسيل**

تؤكد وفاته بالكوليرا. وفي مخيم السمونية في عكار، بدأت تنتشر أخبار عن حالات تقيؤ وإسهال، وهي تخضع للفحوصات اللازمة في مستشفى حلبا الحكومي.

بلدية بنين: التوعية

المخيم الذي شيد في ضواحي منطقة بنين عام 2010، على مساحة 15 ألف متر مربع، تابع لسلطة الأمم المتحدة، يوجد بداخله قرابة الـ 400 خيمة، ويقطنه حوالي 1600 شخص ممن يحملون الجنسية السورية ويتلقى خدماته عبر منظمة الأمم المتحدة وبعض المنظمات الدولية. صحيح أن الامتداد الجغرافي للمخيم هو مع منطقة بنين، إلا أنه يتبع عقارياً منطقة بحنين في قضاء المنية- الضنية، بالتالي لا سلطة لبلدية بنين عليه، «لكن ذلك لا يمنعنا من التعاون مع كافة الجهات الرسمية المختصة للحد من انتشار المرض» يقول رئيس بلدية بنين، الدكتور كفاح الكسار. وفيما يحرص على التوضيح أن الحالة المسجلة «وصلت من سوريا حديثاً وليست محلية»، يسلّم بأن القدرة على اتخاذ إجراءات للوقاية لا تتجاوز حملات التوعية، «فالمعروف عن المرض أنه لا ينتقل عبر المخالطة المباشرة بل عبر فضلات الإنسان أو تكرار استعمال المياه الآسنة». وانتقد الكسار إعلان وزارة الصحة عن أولى حالات الكوليرا، «إذا ستكون له تبعات خطيرة على القطاع الطبي أولاً، خصوصاً أننا في موسم الالتهابات المعوية والتي غالباً ما تؤدي الإسهالات والاستفراغ طبيعي، بالإضافة إلى إمكانية زيادة التأزم في العلاقة بين اللاجئين السوريين وسكان المناطق».

خطة استباقية

بعض المنظمات التي تعنى بشؤون اللاجئين السوريين، وبعض البلديات، كانت قد أعدّت خطة استباقية لمواجهة حالات الكوليرا. وتوقعت الخطة أن تكون مناطق عكار- طرابلس ومعهما البقاع والهرمل الأكثر عرضة لانتشار الكوليرا. وترتكز الدراسة على التجمعات المكتظة في هذه المناطق، حيث يقطن 40% من اللاجئين في المخيمات أو مواقع وورش البناء (المرائب والمستودعات، وما إلى ذلك). ومن المؤكد أن حالات المرض لن تقتصر على اللاجئين السوريين فحسب، بل ستتعدّاها إلى المواطنين اللبنانيين نظراً لعمليات الاحتكاك شبه اليومي بينهم.

يذكر أن عدد مخيمات اللاجئين السوريين في عكار يتخطى الـ15، يقطنها قرابة 103873. أما اللاجئون ممن يقطنون البيوت فيبلغ عددهم 24137، فيما تشكل التجمّعات الكبرى في (العماير 11736، حلبا 6,675، ببنين 6291 لاجئاً، و7059 في المحمرا) وفق الأرقام المسجلة لدى منظمة الأمم المتحدة.

السياسي الذي طال بتداعياته مختلف مؤسسات الدولة، وأهمّها انهيار البنية الصحية الخدماتية. فاليوم، معظم المناطق اللبنانية بلا مياه شفة صالحة للشرب وبلا كهرباء بما ينعكس فساداً في الأمن الغذائي وبلا رقابة عامة و«مع صرف صحي». هذه المعادلة تقود بلا شك إلى التهاب الكبد والكوليرا وغيرهما أيضاً. وعلى هذا الأساس، ونتيجة فشل الخدمات الصحية، فإن لبنان «معرّض لأوبئة مرتبطة بصيانة البنية التحتية»، يؤكد البزري.

كذلك تؤدي الحدود المفتوحة وغير المنضبطة دوراً أيضاً في ظهور الكوليرا. وينطلق البزري من الدولة الجارة التي ظهرت فيها قبل فترة حالة شلل أطفال و«منذ أب نراقب ظهور الكوليرا فيها وخصوصاً في المناطق الخارجة عن السيطرة الحكومية، حيث تصبح الخدمات أقل».

ثمة عوامل إضافية لا تقلّ أهمية وتتعلق بالإجابة عن سؤال أساسي: أيّ جبل «نخرّج» اليوم على الصعيد الصحي؟ إذ تشير الدراسات الحديثة إلى انخفاض نسب التلقيح بين الصغار إلى حدود 40%، وهذا يعني أننا أمام جيل بلا مناعة ومعرّض لالتقاط الأوبئة والفيروسات بشكل أسرع. ويتخوّف البزري من قدوم الشتاء المقبل في ظلّ هذه البنية المتهالكة و«خصوصاً إذا أتى بنفس غزارة العام الماضي، إذ من الممكن أن تطوف مجاري الصرف الصحي في مناطق كثيرة بما يزيد من تلك الأمراض».

إلى كل تلك الأسباب، يضاف غياب الإمكانات في كلّ أجهزة الدولة، فيما الحلول تكمن في مكان واحد: معالجة البنية التحتية الصحية، وبذلك «نكون قد ضربنا عصفورين بحجر واحد، واستعادة القطاع والخلاص من الأوبئة».

البزري
الحلّ بمعالجة البنية التحتية الصحية

رأجانا حمية

أربعة أسباب رئيسية؛ يأتي في مقدّمها التوسع البشري، وتعدّي الإنسان على الطبيعة، وخصوصاً الغابات الاستوائية، «حيث دخل البشر كمضيف طارئ على تلك الطبيعة ما أثّر على الدورات الحياتية للفيروسات». ويلحق بهذا الأمر السبب الآخر المتعلق بالاحتباس الحراري، «إذ إن بعض الأمراض تحتاج إلى نواقل (قوارض)، والحرارة تعمل على تغيير خريطة النواقل ما أسهم في ظهور أنواع منها في مناطق لم تكن موجودة فيها، ما أدّى بالتالي إلى ظهور أمراض فيها». أما السببان الأخيران فيتعلقان بتغيّر العادات والأساليب الحياتية وأنماط المعيشة من جهة، وسهولة السفر من جهة ثانية، الذي أدى بدوره إلى سرعة انتقال الأوبئة والأمراض بين الدول، وسهولتها.

..وأسباب محلية

غير أنّ كلّ هذه الأسباب، على أهميتها، ليست كافية لتبرير وصول الكوليرا إلى لبنان، رغم أنّها قد تكون مستوردة من سوريا، التي تخطت الإصابات فيها عتبة العشرة آلاف، إذ ثمة أسباب محلية أدّت إلى جعل الكوليرا اليوم «نصف مستورد ونصف محلي». يردّ البزري الأسباب المحلية إلى الانهيار استعمالها لإعادة غسل الثياب وتنظيفها». ويشير أحد قاطني المخيم إلى أن الأمم المتحدة كانت قد وزّعت جداول للحصول على المياه عبر خزّانات المياه، وأعطت لكلّ عائلة حقّ الاستفادة من وصل مياه أسبوعياً، لا يلبي حاجات العائلات خصوصاً الكبيرة منها والتي يتخطى عدد أفرادها الستة أشخاص.

انتشار اليرقان يكشف تلوّث مياه شرب الضنّية

عبد الكافي الصمد

كما كان متوقعاً، أظهرت نتائج فحوصات عيّنات من مياه الشّفة في الضنّية وجود تلوّث واسع فيها، وبأنّها غير صالحة للشّرب، ما كشف عن أزمة كبيرة في منطقة تعدّ إحدى أغنى مناطق لبنان بالينابيع والمياه الجوفية.

الفحوصات التي جرت في مختبر غرفة التجارة والصناعة والزّراعة في طرابلس، بطلب من رئيس اتحاد بلديات الضنّية محمد سعدية، جرت بعد ظهور إصابات بمرض الكبد الفيروسي المعروف باليرقان في عدد من بلدات المنطقة، وتحديداً في بخعون وحرف السيّاد ومراح السّراج وكفرشلان التي تتغذى من مياه نبع الرّحلان، ونقلهم إلى المستشفيات لتلقي العلاج، بعدما سجّل مركز بخعون الصحّي في الأيّام الأخيرة عدداً من الإصابات باليرقان.

تسرّب الصرف الصحي

رئيس الجهاز الصحّي في اتحاد البلديات الدكتور محمد سلمى، الذي تابع الموضوع منذ بدايته، أوضح لـ"الأخبار" أنّ نتائج الفحوصات "أظهرت وجود نسبة تلوّث مرتفعة فيها، باستثناء، فحصين مشكوك بهما نحتاج إلى إعادتهما الأسبوع المقبل، في بخعون وكفرشلان، وأنّ مياه الشّرب في الضنية غير صالحة بمعظمها للشّرب بسبب تسرّب مياه الصرف الصحي إليها، ووجود مكبّات نفايات عشوائية مجاورة لها". وحمّل سلمى مصلحة مياه الضنية "مسؤولية التقصير الحاصل، وعدم معالجتها مشكلة تلوّث مياه الشّرب في المنطقة كما ينبغي".

انتقد سلمى لمصلحة المياه في الضنّية واتهامها بالتقصير ليس الوحيد من نوعه، بل إنّ رؤساء بلديات وأطباء وفاعليات ومواطنين يحمّلونها مسؤولية عدم قيامها بمسؤولياتها في هذا الإطار.

مياه الصهاريج

مصادر مسؤولة في مصلحة مياه الضنّية ردّت على هذه الاتهامات بقولها لـ"الأخبار" إنّ المصلحة "تقوم بدورها في هذا المجال ولا يوجد أيّ تقصير. نأخذ عيّنات مياه شرب يومياً من مناطق مختلفة في الضنّية ونحلّلها في مختبرنا، ولدينا تقارير يومية وأسبوعية وشهرية نرفعها إلى المسؤولين في مؤسّسة مياه لبنان الشّمالي، وأغلب هذه الفحوصات أظهرت أنّ المياه سليمة، وأيّ مشكلة تلوّث نواجهها نعالجها بوضع مادة الكلور لتعقيم المياه".

أمّا في ما يتعلق بظهور إصابات يرقان في الضنّية، فقد ردّتها مصادر مصلحة المياه إلى أنّ "عدداً من المواطنين يعملون، بسبب تقنين المياه الذي نقوم به بين فترة وأخرى، على شراء صهاريج مياه شرب لا نعرف مصدرها ولا نظافتها، وهو أمر لا يمكننا ضبطه، إذ يقوم أصحاب صهاريج ومواطنون بتعبئة مياه الشّرب من سُبل مياه منتشرة على طرقات الضنّية، وهي سُبل أغلبها ملوّث".

ولفتت المصادر إلى مشكلتين رئيسيّتين تتسبّبان بتلوّث المياه، وتعجز مصلحة المياه عن حلّهما، الأولى "مشكلة النّفايات العشوائية التي تُرمى في مجاري الأنهر وقرب ينابيع المياه". والثانية "شبكات مياه الصرف الصحّي التي تصبّ في مجاري الأنهر أو قرب الينابيع، وهي مشكلة تفوق قدرة المصلحة على حلّها، وتحتاج إلى حلّ جذري لا يستطيع القيام به إلّا الدولة أو الوزارات المعنية، فنحن بالكاد نقوم بأعمال الصيانة، وحتى مادة الكلور لو أنّ منظمات دولية لا تساعدنا في الحصول عليه لما تمكّنا من وضعه".

متابعة

انتخابات LAU: بيروت للثنائي وجبيل للقوات

(مروان بوحيدر)

زينب حمود

أصيب النادي العلماني والمستقلون، أمس، بـ«نكسة» في انتخابات المجلس الطلابي في الجامعة اللبنانية الأميركية لعام 2022-2023، بعدما خسروا أملهم باسترجاع المجلس من أيدي أحزاب السلطة، فتراجع عدد المقاعد التي فازوا بها من 9 في العام الماضي إلى 4 هذا العام. وأحكمت الأحزاب التقليدية سيطرتها على المجلس؛ حصد تحالف حزب الله وحركة أمل غالبية الأصوات في فرع بيروت، واكتسح حزب القوات اللبنانية مقاعد فرع جبيل.

فرع بيروت

في بيروت، فاز تحالف حزب الله وحركة أمل بـ 8 مقاعد من أصل 9 ترشح إليها، «5 مقاعد تعود لأمل و3 لحزب الله»، يقسّمهم مسؤول مكتب الشباب والرياضة في حركة أمل علي ياسين الذي لا يخفي فرحته بعدما حصد الثنائي غالبية المقاعد في المجلس الطلابي الذي يتألف من 15 مقعداً. وكان تحالف حزب الله وأمل قد فاز بثلاثة مقاعد بالتزكية، من بينها مقعد تحدّث الحزب السوري القومي الاجتماعي، في بيان له، أنه يشترك فيه. وحصل النادي العلماني والمستقلون على 4 مقاعد، فيما حصل حزب القوات اللبنانية على 3 مقاعد، كما يقول وسام واكيم. إلا أن ياسين يتحدّث عن «فوز القوات بمقعدين، وفوز مستقل بالمقعد الثالث، أعلن الحزب الاشتراكي دعمه له».

في جبيل، حافظت القوات اللبنانية على المقاعد العشرة التي حصدتها في العام الماضي من أصل 15 مقعداً. وأعلن التيار الوطني الحر فوزه بأربعة مقاعد من أصل خمسة ترشح إليها، وسط حديث عن أن «المقعد الرابع يعود لمستقلّ، لكن التيار أخذه لصفّه». أما في ما يخصّ المقعد الأخير، فتضاربت النتائج وسط ادّعاء كل طرف الفوز به. حركة أمل تنسبه لنفسها، والقوى الأخرى في المجلس تنسبه للنادي العلماني، الذي غاب عن السمع بعد صدور النتائج. ومع أن حزب القوات يحافظ على الأغلبية الكاسحة في المجلس الطلابي في جبيل، إلا أن التيار وخلفه حزب الله، الذي دعم مرشحي حليفه، يجدان النتيجة «إنجازاً»، إذ «ربحنا في كليات تشتد فيها المنافسة»، بحسب مندوب ماكينة التيار في جبيل عمر عسيلي.

عودة بعد مقاطعة

الجديد هذا العام هو عودة الأحزاب التقليدية إلى المنافسة بعد مقاطعتها في السنوات السابقة، ولا سيما حزب الله الذي عاد بعد ست سنوات من المقاطعة. يفسّر مسؤول الجامعات الخاصة في التعبئة التربوية لحزب الله حيدر شميساني ذلك بالقول: «بعد اعتراضنا على النظام الانتخابي الأكثري، وآلية التصويت عن بعد من دون أن تأخذ الإدارة تمنياتنا بتعديلهما، وجدنا أن المقاطعة لا تنفع». كما قرّر الحزب التقدمي الاشتراكي المشاركة في الانتخابات بثلاثة مرشحين، إلا أنه «نتيجة تأخر مرشحيه عن تسديد أقساطهم الجامعية، ما يمنع الترشح وفق نظام الجامعة، خرج الحزب من المنافسة وقرّر دعم مرشحي حليفنا حزب القوات اللبنانية».

أجواء مشحونة في جبيل

نجحت سياسة الجامعة في منع إجراء حملات انتخابية واعتماد آلية التصويت الإلكتروني عن بعد في الحفاظ على الهدوء في اليوم الانتخابي في بيروت. لكنها لم تفلح في جبيل، حيث شهد الفرع أجواء مشحونة خلال الأيام التي سبقت الاستحقاق الانتخابي واستمرّت إلى اليوم، من تلاسن وتضارب بين طلاب مناصرين لحزب القوات اللبنانية وآخرين مناصرين للتيار الوطني الحر.

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [10]

أسعد أبو خليل *

حديثنا هنا عن مذكرات صائب سلام التي صدرت للتوّ في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة مهمّة شارك هو في صنع بعضها.

دار الحديثُ في الحلقة الماضية عن مليشيا أسّسها صائب في حرب السنتين وأوكل أمر قيادتها لتمام سلام. لم تعمّر المليشيا لأن الجمهور الإسلامي في بيروت انجذب نحو «المرابطون» وتنظيمات ناصريّة ويساريّة أخرى. لكن ما يجب التنويه به في هذا الصدد أن صائب—باعترافه هو في يوميّاته—لم يُنشئ المليشيا للمشاركة في الدفاع عن أهل بيروت بوجه هجمة اليمين اللبناني الطائفيّة لم توفّر مسلماً بريئاً في لبنان، بل إن كل همّ صائب انصبّ على مواجهة الخطر الشيوعي في بيروت. ولعلّ المشروع (الذي انطلق—وبعفويّة شديدة—بعد زيارة طلب تمويل من صائب إلى السعوديّة حيث وجد صائب أن أمراء آل سعود متعاطفون مع الانعزاليّين في لبنان بسبب انتشار الشيوعيّة بين المسلمين. ويومها، أدلى صائب بتصريحات قال فيها إنه «صحّح» النظرة تلك عند أرباب النظام) كان يهدف إلى إنقاذ زعامة صائب في زمن

> **يبدو أن كمال كان مثل ابنه وليد: يقول في السرّ غير ما يقوله في العلن. وهذه من فوائد يوميّات صائب أنه صريح في نقل ما دار بينه وبين سياسيّين**

> **خطة بشير الجميل في اقتحام منطقة الحمرا والاستيلاء على المصرف المركزي كان يمكن أن تنجح لولا تدخّل القوات الفلسطينيّة**

اضمحلال الزعامات التقليديّة. وتقاطع موقف صائب في الحرب—باعترافه—مع موقف النظام السعودي في تأييده لموقف «الكتائب» حول «ضرورة إيقاف المدّ الفلسطيني المسيء للسيادة اللبنانيّة، وإيقاف المدّ الشيوعي المتزايد» (ص. 679، ج2). لكن يختلف سلام مع النظام السعودي عندما يحمّل فرنجية وشمعون والجميّل المسؤوليّة في فساد الحكم وفلتان الأمن، كما أنه يرى أن أفعالهم زادت من المدّ الفلسطيني والشيوعي.

ويقول صائب إنّ جهده «الأكبر» في فترة حرب السنتين انصبّ على تنظيم الشباب في «حركة رؤاد الإصلاح» و«المقاومة الشعبيّة» (أي الأداة الضاربة للحركة). ويزعم صائب أنه كان لإعلان قيام المليشيا «صدى واسع، محلياً وعربياً» (ص. 682، ج2). وفي قوله هذا مبالغة فظيعة لأن بعضنا يتذكّر كمّ النكات والسخرية الذي طال إنشاء المليشيا، والتي كان أهل بيروت الظرفاء يطلقون عليها اسم «رؤاد الفضاء». أمّا التمويل، فيقول صائب هنا: «كنتُ أموّلها من مالي الخاص ممّا كان متجمّعاً لديّ من بيع أراضٍ تملكها زوجتي في مشروع الدوحة، وما كنت استدنته من بنك «المشرق» بواسطة أحد مديريه رياض ناصر». وعاني التنظيم من نقص في السلاح والتمويل، حسب صائب.

أمّا رشيد كرامي، فلا تنقص عزيمة صائب في تعييره في اليوميّات عبر السنوات. تجد كرامي دائماً على عتبة الانهيار النفسي. وأسلفتُ من قبل أنني سألتُ في هذا شخصيّة معروفة وكان قريباً جداً من كرامي ونفى لي أن يكون كرامي قد عانى من تلك الأزمات النفسيّة التي نسبها له صائب باستمرار في اليوميّات. يقول عن نهاية عام 1975، «وبعد ذلك توجهتُ آخر الليل إلى رشيد كرامي لأجده منهاراً، عازماً على الاستقالة... وشددتُ من عزيمته ورفعتُ معنوياته، قائلاً له إنّنا اليوم نؤيّده أكثر من أيّ وقت مضى... كل ذلك جعل شعبيّته متدنيّة جداً عند المسلمين كما عند المسيحيّين». (ص. 683، ج2). لكن صائب لا يتحدّث عن تدنّي شعبيّته هو عند المسلمين. ألم يكن هذا سبب عدائه لكمال جنبلاط الذي أصبح أكثر شعبيّة من صائب عند المسلمين؟ وصلت شعبيّة صائب في حرب السنتين إلى درجة جدّ متدنيّة، ما سمح لإبراهيم قليلات (وكان في 1958 واحداً من أتباعه) بأن يتوّج نفسه زعيماً على بيروت. وشكّل قليلات عقدة عند صائب لأنه لم يكن يتوقّع أن يصل قليلات إلى هذا الموقع في القيادة السياسيّة (طبعاً، استفاد قليلات من تغيّر مزاج الرأي العام البيروتي الذي انصرف عن الزعامات التقليديّة، وكذلك من تمويل سخيّ من ليبيا ومن حركة «فتح»). ثم يقول صائب في ما بعد عن كرامي إنه أصبح «مضغةً في الأفواه. يتندّر الكلّ عليه. كرامي يكتفي بجلسات تلفزيونيّة باتت متكرّرة لا جديدَ فيها» (ص. 695، ج2). صائب قاسٍ وفظّ جداً في نقده، لكن أداء كرامي كان ضعيفاً بالفعل في تلك الفترة. وفي صيف 1975 أدلى بتصريحات جزمَ فيها أن لا جولة رابعة من القتال في لبنان ونصح اللبنانيّين بالتوجّه إلى شاطئ البحر وتنشّق الـ«بود» (أذكر ذلك التصريح، إذ كنا في صوفر في الصيف وكانت الاشتباكات تتكرّر بين الاشتراكيّين ومناصري الانعزاليّين في الشبانيّة وحمانا. ورأيتُ ذات يوم وليد جنبلاط موفداً من قبل والده وهو يحاول أن يهدّئ من روع أنصاره).

وفي رواياته عن تفاصيل اجتماعاته، لا يصدّقنا صائب القول دائماً. خذ مثلاً اجتماعه في بيروت مع طارق عزيز. يخبرنا أن عزيز أبدى إعجاباً بشخص ميشال خوري (الذي كان صلة الوصل السرية—وخارج الآلية الرسميّة—بين شارل حلو والإدارة الأميركيّة، ولم ينكشف ذلك إلا بعد الإفراج عن الوثائق الأميركيّة عن تلك الحقبة). صائب يقول إنه كان بدوره معجباً بميشال خوري مع أنه «يأخذ عليه «انغلاقاً جزويتياً» (ص. 684، ج2). كيف تُعجب به وأنت تقول إنه منغلق جزويتي؟ ثم يشرح صائب لطارق العزيز آراءه وعن الضرر في الصراع بين سوريا والعراق ويعترض على الإنفاق العراقي في «الشارع الإسلامي». لكننا نكتشف عرضاً بعد ذلك أنه كان هناك بحث بتسليح عراقي لـ«رؤاد الإصلاح»، إذ يعترف صائب بأن أبو عمّار أبدى استعداداً لتوفير سيّارة عسكريّة لنقل «قطع السلاح (100 رشاش كلاشينكوف) التي وعدنا بها العراقيّون» (ص. 685، ج2). متى وعدك بها العراقيّون؟ لم تخبرنا عن ذلك؟ وهل رافق ذلك تمويل للمليشيا السلامية؟

ثم نقرأ عن خبر مصالحة بين صائب وكمال جنبلاط. فقد أخبره الصحافي في «النهار»، نبيل ناصر (وكان قريباً من موسى الصدر)، أن كمال جنبلاط يريد الاجتماع به. وتم اللقاء بين صائب وجنبلاط واشتكى الأخير من تصرّفات رشيد كرامي. ويضيف صائب: «بعد ذلك قال لي إنّه لا ينظر بعين الرضى إلى نشاطات الشيوعيّين وإنه ضدّهم، وبات يخشى، جدياً، من تماديهم في التمدّد» (ص. 686، ج2). يبدو أن كمال كان مثل ابنه وليد: يقول في السرّ غير ما يقوله في العلن. وهذه من فوائد يوميّات صائب أنه صريح في نقل ما دار بينه وبين سياسيّين من أحاديث فيظهر الفارق بين ما يقولونه في الغرف المغلقة وما كانوا يقولونه ويصرّحون به علانيةً للإعلام. وقال جنبلاط لسلام إنه—خلافاً لما كان يقوله في العلن، وخلافاً لموقف الحركة الوطنيّة الرسمي—«لا يتمسّك بمبدأ النسبيّة» في القانون الانتخابي. وكان جنبلاط قد كلّف عصام نعمان بوضع قانون انتخابي على أساس النسبيّة وأصبح ذلك من ضمن برنامج الحركة الوطنيّة. ويبدو أن موقف وليد جنبلاط في معارضة النسبيّة هو موقف أمين للموقف الحقيقي لوالده.

ويعترف صائب في بداية عام 1976 بأنه توقّف عن تدوين اليوميّات لانشغاله بالأحداث الجسام التي طالت لبنان في تلك السنة. ولعلّ هذا هو السبب لغياب تغطية في اليوميّات لسنوات صائب في الحكم في عهد فرنجيّة. يبدو أن صائب لا يدوّن إلا عندما يكون قليل المشاغل والمسؤوليّات أما يفتح ثغرة في اليوميّات. وكان يمكن تلافيها لو أنه جالس صحافيّاً في سنوات تقاعده كي يملأ فراغات اليوميّات. وكان ذلك بالضبط ما فعله مع شكري نصر الله حسب شهادة الأخير، لكن اليوميّات خلت من نصوص تلك الجلسات بينهما. ويبدو أن صائب فوجئ بحملات التهجير الطائفي من قبل «الكتائب» وحلفائه، فهو يذكر «عمليّات تهجير جماعيّ تتمّ عن طريق القتل والإرهاب لألوف المسلمين من حي الكرنتينا وجلّهم من الفقراء المعدمين، والوف من الدامور والجيّة من المسيحيّين» (ص. 691، ج2). لكن صائب على خطأ في التوازي: قامت الأحزاب الانعزاليّة بعمليّات تهجير طائفي وإثني مقصودة من المناطق الخاضعة لسيطرتها، لكن لم يكن هناك خطة موازية في التهجير في مناطق الحركة الوطنيّة والمقاومة الفلسطينيّة. معركة الدامور أشعلها حزب الكتائب الذي كان يقطع الطريق الساحلي باستمرار، وأهل الدامور والجيّة قرّروا الرحيل لأن الرجال كانوا بمعظمهم مقاتلين في الأحزاب اليمينيّة وقد رؤعوا عبر السنوات أهالي المنطقة المحيطة بهم. ويتحدّث صائب عن دور جيش التحرير الفلسطيني في تعزيز الموقف العسكري للحركة الوطنيّة. وهو على حق في قوله «لولا دخول «قوات اليرموك» التابعة لجيش التحرير الفلسطيني قادمة من سوريا لما تمكنت قوات المقاومة الفلسطينيّة ومَن يساندها من اللبنانيّين، من الصمود في وجه قوّات المورانة» (ص. 692، ج2). إن خطة بشير الجميل في اقتحام منطقة الحمرا والاستيلاء على المصرف المركزي كان يمكن أن تنجح لولا تدخّل القوّات الفلسطينيّة في معركة الفنادق التي ردّت القوّات الانعزاليّة على أعقابها (لعبت حركة «فتح» و«الجبهة الشعبيّة» و«القيادة العامّة» و«الجبهة الديموقراطيّة» أدواراً كبيرة في تلك المعركة وإن نالت حركة «المرابطون» رصيداً وذلك بسبب تمرّس إبراهيم قليلات في الاستعراض الدعائي ولأن المقاومة الفلسطينيّة لم تكن تريد أن تجاهر بدورها في الحرب الأهليّة).

ويعيب صائب—وعن حق—على الميليشيات في «الغربيّة» سلوكها المشين في الحرب، لكنه—للأمانة—يعترف بأن «جماعات قليلة ظلّت حتى اليوم تحافظ على شيء من التصرّف الأخلاقي وعدم التورّط في الخطف والسرقات، ومن هذه الجماعات القليلة قوّات «المقاومة الشعبيّة» التابعة لحركة «رؤاد الإصلاح» بقيادة تمّام سلام». لكن لم يكن هناك دور يُذكر لـ«رواد الإصلاح»، والفساد وأعمال السرقة والجريمة شابت تجربة كل الأحزاب والميليشيات اللبنانيّة باستثناء الشيوعيّين والقوميّين السوريّين، وأقول ذلك عن معرفة بتجربة الحركة الوطنيّة في تلك المرحلة. أمّا عن ميليشيا صائب، فيحدّثنا في ذلك مرّة أخرى وأخرى: «والحقيقة أننا اليوم لم نتلقّ درهم عَوْن من أحد، إلا مبلغ 25 ألف ليرة قدّمها لنا شاب شهم صاحب مطعم في الرياض من آل سنّو. أما باقي المصاريف التي بلغت مئات الوف الليرات، فكنتُ لا أزال أدفعها من جيبي الخاص، وبفضل قطع أرض أملكها في الدوحة، وبفضل قروض أحصّل عليها. أما ما أسمّيهم «المتكالبين على المال» من أصحاب الملايين، فلم يقدّموا شيئاً رغم مطالبتي المتكرّرة لهم منذ شهرين» (ص. 692، ج2). لكن أيّ مطالب متكرّرة؟ ألم تقل لنا من قبل إنك قطعتَ التواصل معهم لأنهم رفضوا طلبك بتقديم مبلغ 200 ألف ليرة عن كلّ واحد منهم؟ ثم، كيف أنفقتَ هذه المبالغ الطائلة وأذكر أننا كنا نقول في تلك الفترة—ومن دون سخرية—إن أفراد حركة «رؤاد الإصلاح» يحتاجون إلى سيّارتيْن عسكريّتيْن فقط لنقلهم. حجم ميليشيا «رؤاد الإصلاح» كان صغيراً جداً ولا يزيد عن أعضاء «حزب النجادة» في حينه.

ويحدّثنا سلام عن اجتماع للقيادات الإسلاميّة في مطلع عام 1976 ويقول إن اللقاء تميّز بـ«الخناقة الحادّة التي وقعت بين رشيد كرامي وكمال جنبلاط اللذين راح كلّ منهما يكيل الشتائم للآخر بالألفاظ النابية مخوّناً إياه، ويشكل نذر أن وقع منه سلام أن حليفيْن في مثل هذا الجمع» (ص. 692، ج2). لو أن تلفزيون لبنان أمّن لنا نقل ذلك اللقاء حيّاً على الهواء كي يستمتع الشعب اللبناني بمشهد احتدام الخلاف بين حليفيْن في الصف الإسلامي. لو أن هناك نصّاً مدوّناً لحلقة الشتائم تلك. وجرى بحث في مشاريع الإصلاحات الدستوريّة المزمعة، وكان الفريق السوري يحاول أن يوفّق بين موقف فرنجيّة وموقف المعارضة الإسلامية و«الوطنيّة». وطرح صائب مشروعاً خاصاً به في تشكيل مجلس رئاسي من ستة أعضاء. وهذا الحلّ، بالرغم من أنه من ضمن التسويات الطائفيّة، كان يمكن أن يكون أفضل من إصلاحات الطائف التي نقلت الصلاحيات من رئيس الجمهوريّة إلى رئيس الحكومة (مشروع المجلس الرئاسي مُستقى من التجربة السويسريّة وكانت في الماضي محصورة بكوتا «كانتونيّة»، لكنها تحرّرت من ذلك أخيراً).

ويعطي صائب وصفاً دقيقاً لخلفيّة ما جرى في معركة الدامور، إذ يقول: «وصلت الأمور إلى ذروة رعبها (في كانون الثاني، 1976). فقد اشتدّ الضغط الوحشي على أهالي الكرنتينا الفقراء وعلى سكّان منطقة المسلخ، من قبل الكتائب والأحرار، بعدما سبقت ذلك أعمالٌ وحشيّة ضد مخيّم ضبيّة وفي سبنيه، وكان هجوم جيش التحرير الفلسطيني على أشدّه لمساندة أهل البقاع ردّاً على تهديم حوش الأمراء وردّاً على الأعمال التي كان الكتائب والأحرار يقترفونها في كل مكان. وهكذا راحت القوات الفلسطينيّة تساند أهل الدامور والجيّة ضدّ مسلحي الناعمة والدامور والسعديّات» (ص. 694، ج2). بإيجاز شديد يعطينا صائب السياق الحقيقي الذي جرت فيه معركة—وهي بالفعل معركة—الدامور. هناك جيل جديد من اللبنانيّين لا يذكر من كل هذه الجرائم الحربيّة إلا «مجزرة الدامور» لأن «الكتائب» هُزمت في الحرب، لكن سرديّتها عن الحرب لا تزال سائدة. وحركة 14 آذار بعد اغتيال الحريري اعتنقت السرديّة الكتائبيّة بالكامل وأصبح هناك من يصدّق أن القوات الانعزاليّة لم تشهر الحرب إلا ضد... التوطين، كأن المسلمين كانوا هم أيضاً يجسّدون مشروع التوطين الفلسطيني.

ويحدّثنا صائب عن لقاءيْن له مع حافظ الأسد وكيف أنه نصح بتدجين كمال جنبلاط (هو يقول إنه حذّر حافظ الأسد من «مغبّة مجابهة جنبلاط بعنف»، أي أن الموضوع العنفي طُرح أمامه) وروّج لترشيح ريمون إده للرئاسة، لكن حافظ الأسد أفحمه عندما قال له إن السعوديّة تماشي الموقف السوري في معارضة ريمون إده (ص. 698، ج. 2. لكن سلام يكتشف في ما بعد، بناءً على زيارة من هاني الحسن وابنه فيصل، أن السعوديّة تفضّل إده وترفض سركيس. ص. 700، ج2، أي أن حافظ الأسد خدعه). قام ريمون إده في تلك الفترة بزيارة لواشنطن للترويج لترشيحه وقد علمتُ عن مضمون الرحلة من خلال الوثائق الأميركيّة المُفرَج عنها لأن إده في حينه زعم أنه زار واشنطن للاستطلاع. لكن جيمس ستوكر يقول، بناءً على الوثائق، إن أميركا لم ترتح إلى إده لكثرة ما كان يذكر «التآمر» بين سوريا وأميركا في لبنان (جيمس ستوكر، «حفرَ التدخّل»، ص. 190). ولا يضير صائب الاعتراف بلجوئه إلى حيَل وأساليب ملتوية في العمل السياسي. يعترف بأنه سرّب إلى جريدة «النهار»، «وعلى لسان بعض النوّاب» (ص. 698، ج2) أن «السوريّين متمسّكون بإلياس سركيس ويقاومون مجيء إده لرئاسة الجمهوريّة». ويعلّق صائب: «وكان لذلك التسريب أثر قويّ، حيث شعرتُ بأن إلياس سركيس خسر أمام الرأي العام. على أيّ حال، سارعتُ أنا إلى نفي أن يكون مثل هذا التصريح قد صدر عنّي» (ص. 699، ج2). صائب يكذب؟ هل هذا معقول؟

ويلتقي سلام بالقائم بالأعمال الأميركي لامبراكيس (وذكرتُه في الحلقة الماضية)، لكن هذه المرّة لا يشير إليه بـ«الوزير المفوّض» تعظيماً لمقامه. ويفهم منه سلام أن هناك تفاهماً أميركياً - سورياً على التدخّل العسكري السوري في لبنان وعلى ترشيح إلياس سركيس ورفض ترشيح ريمون إده (ص. 699، ج2)، مع أن إده سعى لنيل التأييد الأميركي. لكن الوثائق الأميركيّة تذكر أن واشنطن فضّلت سركيس لعدة أسباب؛ منها أنه أكثر قابليّة للاتفاقات السريّة (مع واشنطن) وعدم الإفصاح عنها. لقد سعى سلام جاهداً لإيصال إده إلى الرئاسة، لكن جهات عديدة، داخليّة وخارجيّة، لم تكن تحبّذ ترشيحه.

ويتحدّث سلام ساخراً عن تقلّب موقف «المسيحيّين» (هو بقصد زعماء وأحزاب الموارنة وحلفاءهم) من التدخّل السوري في لبنان. فيقول إن «الكتائب» وشمعون «ارتموا في أحضان سوريا» ولم يعودوا يسألون «عن السيادة أو يبالون بـ«الاحتلال»» (ص. 701، ج2). ويقول إن هنري فرعون المعروف بتعصّبه المسيحي، زاره وبدا له «أشدّ من الكتائب رغبةً في «الاحتلال السوري» و«الحكم السوري» للبنان». تعود للصحف في تلك الفترة تصريحات مذهلة في التملّق للنظام السوري من قبل قادة الأحزاب اليمينيّة الذين روّجوا في ما بعد لأسطورة مقاومتهم المجيدة لسيطرة النظام السوري في لبنان. مديح ببار الجميل وشمعون وأتباعهم لحافظ الأسد في صيف 1976 لم يسبقه إليه مديح ولم يتبعه مثيل في المدح. وينقل سلام قولاً لرئيف أبي اللمع عن المورانة (وفي هذا ظلم للمورانة ككلّ، طبعاً) إذ يقول: «إن المورانة إذا جاء الإنكليز من فلسطين ليحكموا لبنان، دقّ بأنهم سيفرشون المخمل الأحمر، ويلمّعون الصلبان ويسرعون حتى الناقورة لاستقبالهم، أما إن كان الأتراك سيعودون لاستعادة حكمهم في لبنان، فإن المورانة سوف يسبقونكم إلى انتزاع سناجق الجوامع، ويتوجّهون إلى الإسكندرون لاستقبالهم. أما إذا جاء السعوديّون لحكم لبنان، فإنني أنصحك بشراء كلّ ما في السوق من «عقالات» وكوفيات، لأن سعرها سوف يرتفع كثيراً» (ص. 702، ج2).

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

رؤساء لبنان

سعد الله مزرعاني *

في معظم دول العالم (ما عدا الملَكية طبعاً)، تستطيع أن تقول، فقط، «انتخابات الرئيس». ذلك يعني، تلقائياً وحكماً، رئيس الجمهورية. في لبنان ثمة «ثلاثة رؤساء» بشكل رسمي. في الواقع عدد «الرؤساء» قد يصل إلى ثمانية عشر رئيساً! وهو العدد المساوي لعدد المذاهب الممثلة رسمياً في المجلس النيابي والإدارة. بـ«فضل» هؤلاء، نشأت في لبنان «كونفيدرالية» الطوائف والمذاهب، التي نتنعّم، في هذه المرحلة خصوصاً، بفيض عطاءاتها!

تعمّق المسار الكوارثي الراهن، بقوة، بعد «الطائف» منذ العامين 1989 و1990 (تاريخي إقرار الاتفاق والتعديلات الدستورية التي تضمنها). قبل ذلك كان رئيس الجمهورية هو صاحب القرار الأول والأخير في شؤون السلطة والإدارة والحكم. جسد ذلك خلاصة تركيبة وتوزيعة طائفية ومذهبية ما لبثت أن تعرضت لهزات كبيرة ومتصاعدة بسبب التسلط والامتيازات والسياسات الفئوية والخاطئة، الداخلية والخارجية. كان على «الطائف»، بعد مخاض دموي، في حرب أهلية استمرت 15 عاماً، أن يعالج هذا الأمر. كثرة الطيَّاخين، المحليين وخصوصاً الإقليميين (عبر الإدارة السورية خصوصاً)، وضعت النصوص التي تمّ إقرارها في «الطائف»، في مهب تضارب المصالح الداخلية والخارجية (وحتى الدولية). هذا ما أدى إلى بتر التعديلات الإصلاحية وإلى تشويه مجمل تسوية «الطائف» عبر الآتي: تمّ إلغاء مركز القرار الذي كان يمثله رئيس الجمهورية، ولم يتم استبداله بمركز جديد كما كان ينبغي أن يحصل وفق تعديلات «الطائف» نفسه. لقد نقل «الطائف» جزءاً كبيراً وجوهرياً من صلاحيات الرئيس إلى مجلس الوزراء مجتمعاً ضمن سياق كان ينبغي أن يفضي إلى تحرير المواقع السياسية والإدارية في الدولة من القيد الطائفي (المواد 22 – 24 – 95). هذا الأمر كان سيؤدي إلى قيام أكثرية وأقلية على أساس سياسي لا طائفي. جمّد النافذون الخارجيون وكل القوى السياسية الداخلية تسوية وإصلاحات «الطائف» عند المرحلة «الانتقالية». تمّ انتخاب مجلس نيابي «مناصفة» بين المسلمين والمسيحيين وفق المادة 95 من الدستور. تحوّل «المؤقت»، بحسب الدستور، إلى نهائي في الممارسة. تطبيق «الطائف» بات نموذجاً لضياع القرار، وللتحاصص، ومعهما للنهب والفساد وفشل الدولة وسرقة المواطنين وإفلاس «بلد الأرز» على النحو المأساوي المستمر والمتفاقم منذ ثلاث سنوات حتى إشعار آخر!

انتخاب الرئيس عون أجَّج هذا النوع من الممارسة القاتلة: العودة عن الإصلاحات وتكريس «المناصفة» وتعزيز القبضة الطائفية على مقدرات الحكم والبلاد أداة لسيطرة أطراف البورجوازية الكبرى، من بقايا الإقطاع السياسي إلى أقطاب المال والمصارف إلى مدمني التبعية. قضية «استعادة السلطة والبلد» وتغيير التوازنات والنصوص هي قضية «التيار الوطني الحر» ورئيسه، رئيس الجمهورية، العماد ميشال عون. هو لأجل تحقيق هذا الهدف عقد التحالفات والصفقات وسخّر المواقع والشعارات والممارسات والعلاقات مع الداخل والخارج... وهكذا سيستمر توجه التيار العوني كما تدل كل المؤشرات!

هذا جانب من معركة الرئاسة الحالية بالنسبة للتيار العوني. يقابل ذلك جهد كبير لإحباط خطته بمقدار ما هي ترمز اليوم، أو تبقى ترمز، ربما، إلى معادلة انفتاح وتحالف مع تيار المقاومة ممثلاً بحزب الله على غرار ما حصل منذ اتفاق مار مخايل عام 2006.

بيد أن لمعركة الرئاسة وجهها أو بعدها الخارجي الكبير أيضاً. وهي بموجب هذا البعد تشكل محطة جديدة وأساسية في المشروع، الذي تديره واشنطن في لبنان، من أجل نزع الشرعية الرسمية عن المقاومة وسلاحها خدمة للعدو الصهيوني وإسهاماً في استكمال تصفية القضية الفلسطينية، ولتعزيز التطبيع المضطرد والشامل مع العدو الصهيوني، وأساساً، لإحكام السيطرة الأميركية على الشرق الأوسط برمته.

يتخذ الفريق الذي تديره واشنطن، وهو فريق محلي وإقليمي (ودولي طبعاً)، منحى هجومياً مستمراً. يُعبِّر عن ذلك بضرورة الإتيان برئيس يمثل هذا الفريق: رئيس «سيادي»، أو رئيس تحدٍ، أو رئيس إصلاحي... تعدد التسميات هو للجمع ما بين الادعاء بمعالجة الأزمة الاقتصادية والأزمة السياسية من خلال التركيز على أن سلاح المقاومة هو السبب الرئيس لهذه الأزمة.

الموقف الآخر، يواصل سياسته الدفاعية تحت عنوان «التوافق» على رئيس محايد. ذلك يعني أن يكون الرئيس وسطياً. وهو بالتالي، لن يخوض معركة نزع سلاح المقاومة (سياسياً) من خلال تبني الدعوة لنزع الشرعية عن وجود ودور ووظيفة هذا السلاح كما حصل حتى اليوم. واقعياً، ليست لرئيس الجمهورية صلاحية اتخاذ القرار. هو فقط، يستطيع التعطيل أو التأجيل. تجدر الإشارة، أيضاً، إلى أن سلطة مجلس الوزراء نفسه، والذي هو سلطة القرار، تبقى محكومة بتوازنات هذا المجلس وبـ«الميثاقية» التي تجعل مجرد انعقاده غير شرعي إذا تغيب مكوّن أساسي عن حضور اجتماعاته: من قبيل المقاطعة أو الاحتجاج أو التعطيل. لقد استُحدث لممثلي المكونات الطائفية، في سياق ترسيخ وتعميم التحاصص، «فيتو» في مجلس الوزراء على غرار ذلك الممنوح لعدد من الدول الكبرى، في مجلس الأمن!

كما كل استحقاق، يخوض الأطراف معركة الرئاسة الأولى بوصفها عاملاً أساسياً في إحداث أو عدم إحداث انعطافة جوهرية في الوضع اللبناني. تبرز في هذه المعركة، بالإضافة إلى الأهداف الكبيرة، طموحات شخصية، فئوية، أحقاد، تصفية حسابات... بعضها مستجد، وبعضها الآخر يعود إلى سنوات أو عقود. أما بعضها الثالث فيعود إلى قرون!

العوامل الداخلية والخارجية، متفاعلة إلى أقصى الحدود. صراعات المنطقة، وحتى العالم، ماثلة في الخلفيات والاستعدادات والوعود والدعاية والإعلام... التدخل الخارجي بارز أكثر من أي مرحلة سابقة. الأساسي منه يجري تحت عنوان السيادة والتحرير واستعادة القرار!

معركة أخرى، تجري، في السياق نفسه، حول الحكومة التي كان ينبغي تشكيلها بعد الانتخابات النيابية. الأهداف واحدة في المعركتين وإن كانت المعركتان تبدوان منفصلتين بهذا القدر أو ذاك.

في ما يتعلق بالأزمة الاقتصادية والأزمة السياسية وما يتصل بهما من احتمالات خطيرة، وما ينجم عنهما من مآسٍ وكوارث، لن تضيف المقاربات القديمة أو الجديدة المشابهة، سواءً كانت خارجية أو داخلية، ألا المزيد من التعقيدات والمشكلات والخسائر. وحدها المقاربات السليمة الإصلاحية والتحررية والجذرية، يمكن أن تنقذ لبنان. ذلك يتطلب صياغات وبرامج جديدة، ومعها توازنات مختلفة وانعطافية بشكل عام.

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

فعلتْها السعودية إذاً. بنفوذها الكبير داخل منظمة «أوبك+»، دفعت، جنباً إلى جنْب روسيا في اتّجاه إقرار تخفيض قاس لإنتاج النفط، بما لا يقلّ عن مليوني برميل يومياً، كان له وقْعه الصادم على الولايات المتحدة التي بدت، منذ صدور القرار يوم الاربعاء، في حالة أشبه بالهستيريا. اعتباراتٌ كثيرة يمكن الحديث عنها في تفسير التوجّه السعودي. لعلّ أبرزها اثنان: أوّلهما أن محمد بن سلمان يريد إفهام الإدارة الأميركية أن معاندتها الاعتراف به «حاكماً شرعياً كامل المواصفات» لن يُبقي بلا أثمان، وأن لا رادع لديه عن تثقيل سلّة الجمهوريين عشيّة انتخاباتٍ نصفية يبدو الديموقراطيون مُقبلين على هزيمة محتومة فيها، وثانيهما أن ابن سلمان لا يجد مناصاً من التمسّك بسعر «محلّف» للنفط طمعاً في عائدات يأمل من خلالها تنفيذ مشاريعه «السوريالية» ذات التكلفة المهولة. وهو، في هذا، يبدو عند تقاطع مصالح شديد الوضوح مع روسيا، التي تشتدّ حاجتها هي الأخرى إلى اسلحة فعّالة في مواجهة المساعي الغربية لإفقاد صادراتها من الطاقة جزءاً وازناً من قيمتها وتضعيف قدرتها على تمويل جهدها الحربي. في المقابل، تُظهر إدارة جو بايدن أمام خيارات صعبة، بعدما راهنت على تجاوُب سعودي مع مُطالباتها بزيادة إنتاج النفط، سرعان ما ثبت أنه لا يتجاوز حدود «الامنيات». وهي إذ بدأت، بالفعل، دراسة خطواتها في مواجهة «التمرّد» السعودي، فإن أيّاً ممّا ستُقدم عليه لن يقيها على الارجح، الغضب الذي بدأت تشعله عودة الاسعار للاتّجاه صعوداً فيما لا يَخفى أن العلاقة الاميركية - السعودية بمجملها دخلت حقبة جديدة، عنوانها الابرز فقدان الثقة والقدرة على العطاء المتبادل

ابن سلمان يقلب الطاولة
الرياض لواشنطن: لا نفط بالمجّان

حسين إبراهيم

بعدما تراجعت أسعار النفط إلى ما دون الثمانين دولاراً للبرميل في الرُبع الثالث من العام الجاري، نتيجة ما يُعتقد أنه زيادة سعودية غير رسمية للإنتاج، تمّت بترتيبات مع الأميركيين جرى التوصّل إليها خلال الأشهر الماضية، استدارت المملكة فجأة، وقادت عملية خفض قاسية للإنتاج ضمن تحالف «أوبك بلس». استدراكٌ بدت، بالنسبة إلى كثيرين، متعمَّدة، خصوصاً أنه احتُفل بها من قِبَل أنصار وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، باعتبارها «جلْداً» للرئيس الأميركي، جو بايدن، بينما عاد الأميركيون الذين أربكهم القرار إلى تهديد المملكة، بإجراءات تتراوح بين فرض عقوبات عليها، وإعادة النظر في التحالف معها. وجاء القرار السعودي بتأييد خفض الإنتاج بواقع مليوني برميل يومياً، أو 2% من مجمل الإنتاج العالمي، على رغم أن التوصية الأساسية التي كانت تَقدّمت بها اللجنة الوزارية في المنظّمة لم تصل إلى الحجم المذكور، ليمثّل تحدّياً مباشراً لبايدن، الذي قاد عدد كبير من مستشاريه، سابقاً، حملة ضغط مكثّفة على الحلفاء في الشرق الأوسط، ومنهم السعودية، للامتناع عن الخفض، بلا جدوى؛ وليطرح علامات استفهام حول هذا التغيّر في الموقف السعودي، لا سيما وأن العلاقات مع الإدارة الأميركية سجّلت بعضاً من التحسّن، منذ زيارة بايدن إلى جدّة في منتصف تموز الماضي.

على أن الملفّات الخلافية العالقة بين البلدَين، يبدو أنها لا تزال تُلقي بحمْلها الثقيل على علاقاتهما، وعلى رأسها ملفّ «الخلافة» في السعودية، والذي يريد ابن سلمان إنهاء أيّ تذبذب أو غموض أميركي في شأنه، ومنْح وليّ العهد «صكّاً على بياض» لهندسته وفق ما يشاء، والمضيّ في طريق وراثة والده بلا منغّصات. طريق لعلّ من أبرز العقبات التي تبْقى تعترضها، الدعاوى القضائية المرفوعة ضدّ ابن سلمان في الولايات المتحدة، والتي عادت إلى الواجهة الأسبوع الماضي، عندما طلبت محكمة أميركية تَنظر دعوى مدنية أقامتها خطيبة الصحافي السعودي المقتول جمال خاشقجي، خديجة جانكيز، ضدّ وليّ العهد، من الإدارة الأميركية، إبداء الرأي في ما إذا كانت ستطلب من المحكمة منْح حصانة رؤساء الدول للأخير في موعد اقصاه الثالث من تشرين الأوّل الجاري أم لا، إلّا أن الإدارة استمهلت المحكمة 45 يوماً إضافية للردّ. هذه المماطلة قد تكون استشارت وليّ العهد، منضمّةً إلى تجارب أخرى في سجلّه لم تكن مشجّعة البتّة؛ إذ سبق له أن خسر أحكاماً قضائية في دعاوى بينه وبين المعارض سعد الجبري، وأمام رجل الأعمال نادر الدوسري (الأخيرة مُقامة ضدّ وليّ العهد وليس ضدّ ابن سلمان بصفة شخصية)، صحيح أن معارضين سعوديين ربطوا، أخيراً، الأمر الأميري الذي صدر قبل أيام بتعيين ابن سلمان رئيساً للوزراء، بناءً على مشورة أميركية على حدّ قولهم، بإمكانية منْحه الحصانة التي تُعطى عادة للرؤساء أو لرؤساء الوزراء، وأن وليّ العهد يعرف أن الإدارات الأميركية قد تؤثّر على القضاء - على رغم استقلاليته - في المسائل المتعلّقة بالأمن القومي، إلّا أن ابن سلمان لا يلمس إلى الآن إرادة أميركية جادّة وحقيقية لمنْحه الحصانة.

مع ذلك، تبْقى للقرار اعتبارات اقتصادية «جديرة بالملاحظة»، على حدّ تعبير الصحافي سايمون هندرسون، على رأسها اشتداد حاجة ابن سلمان إلى المال لإتمام مشاريعه ذات التكلفة المهولة، وهو ما لا يبدو أن بإمكانه تحقيقه إلّا من خلال قفزات عالية في أسعار النفط، في ظلّ تعثّر بقيّة الخطط الهادفة إلى رفد الميزانية بالأموال اللازمة لإنجاز «رؤية 2030». هذه الاعتبارات حاول وزير النفط السعودي، عبد العزيز بن سلمان، أحد أخوة وليّ العهد الذين يهيمنون على الكثير من المراكز الأساسية في نظامه، تغليفها بأن «الهدف منْع تدهور الأسعار في ظلّ الحديث عن ركود عالمي محتمَل»، معتبراً أن «الاتهامات بالانحياز إلى روسيا مهينة وغير عادلة، فأوبك بلس ليست مؤلّفة فقط من روسيا والسعودية، وإنّما تضمّ الدول الـ13 الأعضاء في أوبك، وعشر دول من خارجها، وهؤلاء وافقوا بالإجماع على الزيادة». لكن الطريقة التي احتفى بها الموالون لابن سلمان على مواقع التواصل الاجتماعي بـ«جلْد» بايدن، والردّ على ما اعتبروه ابتزازاً غربياً للخليج والعرب عموماً، تدلّ على نوايا سعودية مبيّتة في هذا الخصوص. كما أن الأميركيين هم الأكثر خبرة في كيفية العمل داخل «أوبك»، ويعرفون التأثير السعودي الذي استعملوه لعشرات السنين، بل ويعود الكثير من الفضل إليهم بالذات، في المكانة التي تتمتّع بها الرياض داخل المنظّمة.

من هنا، كان الاستنفار الأميركي للردّ على «التنمّر» السعودي، كما وصفه عضو مجلس النواب، رو خانا، في أعلى مستوياته بعد قرار الخفْض، بدءاً من بايدن الذي بدْس من محاولات إقناع ابن سلمان بهدوء برفع إنتاج النفط، نزولاً إلى كلّ المستويات في الإدارة والكونغرس، والتي انشغلت في كيفية الانتقام من ولي العهد، وسط تقدير لموقع «أكسيوس» الذي يقول إنه اطّلع على أجواء الإدارة، مفاده أن النظر في التحالف معها. كما أُثيرت إمكانية أن تَعتبر واشنطن خفْض الإنتاج «عملاً عدائياً»، بما يعني أن المسألة تجاوزت كثيراً الآثار الاقتصادية المتمثّلة في رفع مستوى التضخّم العالمي، وما يؤدّي إليه من تبعات سلبية على مستوى معيشة المواطنين، ليصبح كلّ مشارك في ذلك الخفض، مساهِماً مباشرةً في دعم الجهد الحربي الروسي ضدّ أوكرانيا، والذي تتعامل معه الولايات المتحدة بصفته حربها الخاصة، وتَعتبر مواجهة روسيا نفطياً من أهمّ الأسلحة في خضمّه. وتُواجه إدارة بايدن ضغطاً كبيراً من أعضاء الكونغرس الديموقراطيين للقيام بردود سريعة، بالنظر إلى أن أسابيع قليلة تفصل عن الانتخابات النصفية، والتي لا يبدو الديموقراطيون فيها في وضع جيّد، خاصة أن أسعار النفط عادت لتتّجه صعوداً بعد تراجع بنسبة 25 في المئة خلال الربع الثالث من العام الحالي، أوصلها إلى ما دون الثمانين دولاراً.

إنها الحرب إذاً، تعود من جديد، بين بايدن وابن سلمان، لكن إدارة الأوّل للجولة الأولى منها بدت رخْوة، ما مكّن الثاني من الانتصار فيها، علماً أن الرئيس الأميركي كان وما زال يملك مجموعة من الخيارات البديلة، منها العودة إلى الاتفاق النووي مع إيران، ورفع العقوبات عن فنزويلا والسماح بعودة شركة «شيفرون» إلى العمل هناك، والاستثمار في الإنتاج داخل الولايات المتحدة، لكنه لم يستخدم أيّاً منها، واختار الخضوع لابتزاز إسرائيل التي تجد مصلحة حيوية لها في دعم ابن سلمان.

اعتبر أنصار وليّ العهد السعودي تخفيض الإنتاج «جلْداً» للرئيس الأميركي (أ ف ب)

> بدا الاستنفار الأميركي للردّ على «التنمّر» السعودي كبيراً

هستيريا «ديموقراطية»: كيف يفعل بنا ذلك؟

حمزة الخنسا

الغضب الأميركي العارم الذي عبّر عنه مسؤولون كُثُر في إدارة الرئيس جو بايدن وخارجها، حيال قرار «أوبك +» خفْض الإنتاج، والذي وُجّهت سهامه بشكل محدّد إلى وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، لا يتعلّق فقط بالقلق الذي تسبّبه الانتخابات النصفية المقبلة للديموقراطيين. كما أن أسبابه تتخطّى تأثير القرار على مساعي إدارة بايدن لإيجاد مخارج للأوروبيين بعد توريطهم في حملة العقوبات والحصار ضدّ روسيا على خلفيّة الحرب الأوكرانية. هو يصل، في واقع الأمر، إلى تمادي ابن سلمان المتزايد في تحدّي الإرادة الأميركية، ومُحاولته المتواصلة توسيع هامش اللعب الخاص به بعيداً عن المصالح الأميركية المباشرة، والمتمثّلة في هذه المرحلة في الجهود التي يقودها بايدن لعزل موسكو المنتِجة للطاقة، فضلاً عن عمله الدؤوب على خفْض أسعار الوقود للأميركيين قبيل الانتخابات النصفية، التي أظهرت استطلاعات الرأي الأخيرة تَقدّم الجمهوريين فيها بـ 5 نقاط في اقتراع الكونغرس العام، في نتيجة من شأنها أن تضْمن للحزب الجمهوري الفوز بمجلس النواب، وتجعل مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة خطراً سياسياً كبيراً على الديموقراطيين. ولذا، أعادت ردود الفعل الأميركية العنيفة فتْح الملفات دفعة واحدة في وجه وليّ العهد السعودي، المنغمس في جهود ترتيب المشهد قبل اعتلائه العرش خلْفاً لأبيه الملك المريض، ما يضع زيارة بايدن الأخيرة لجدّة ولقاءه الملك ووليّ عهده في ميزان الربح والخسارة مجدّداً. وفي هذا الإطار، بدأت بعض الأصوات داخل الإدارة الأميركية تتحدّث عن فشل زيارة بايدن للسعودية، مع ما يعنيه ذلك من إعادة العلاقات بين واشنطن والرياض إلى المربّع الأول الذي انطلق منه الرئيس في حملته الانتخابية، حيث تؤكد بعض السعودية المتزايد على الديموقراطيين، وتدفيعها الثمن.

أضف إلى بايدن وقتاً طويلاً من رئاسته، حتى الآن، في العمل على خفْض التكاليف، والإشراف على أكبر عملية بيع للنفط من احتياطي البترول الاستراتيجي لتعويض النقص الناجم عن العقوبات الغربية على صادرات الطاقة الروسية، حتى وصل إلى مرحلة أعلن فيها أن الولايات المتحدة «لا تفكّر في إصدار إصدارات جديدة» من الاحتياطي الاستراتيجي، إلّا أن قرار «أوبك +» الأخير جاء ليشكّل صدمة لإدارته التي ترى في ارتفاع أسعار الطاقة تعزيزها تحالفها النفطي القائم مع روسيا، والذي قد يؤدّي، من ضمن ما سيؤدّي إليه، إلى حدوث اضطراب في الأسواق العالمية، وفي العلاقات بين الولايات المتحدة ودول الخليج، وفي معنويّات الناخبين الأميركيين، الذين تلقّوا ضربة «أوبك +» القاسية، بعد صدمة «إعصار إيان»، ما يثير مخاوف من أن يؤثّر كلّ ذلك على نسبة المشاركين في الانتخابات النصفية المقبلة.

وفيما يحاول السعوديون امتصاص النقمة الأميركية، عبر الحديث عن «تحييد ملفّ إنتاج النفط والطاقة وأسعارها عن المقايضات السياسية»، كون محرّكها هو اقتصادي بحت، اقترح الكثير من الأعضاء الديموقراطيين في الكونغرس «إجراءات تأديبية» بحقّ السعودية. وفي ردود فعل انفعالية باتت معتادة مع تذبذب العلاقات بين واشنطن والرياض، قال السيناتور كريس ميرفي، رئيس اللجنة الفرعية للعلاقات الخارجية للشرق الأوسط في مجلس الشيوخ: «أعتقد أن الوقت حان لإعادة تقييم شامل للتحالف الأميركي مع السعودية»، فيما قدّم توم مالينوفسكي وشون كاستن وسوزان وايلد، تشريعاً في مجلس النواب يسعى إلى سحْب القوات الأميركية من السعودية والإمارات. واقترح النائب روين جاليجو، من جهته، أن تستعيد الولايات المتحدة أنظمة «باتريوت» للدفاع الصاروخي المنتشرة في السعودية، وقال: «إذا كانوا يفضّلون الروس إلى هذا الحدّ، فيمكنهم استخدام تقنيتهم العسكرية الموثوقة للغاية».

لكن التجربة السابقة لبايدن مع الملك وابنه تجعل من احتمال ذهاب الإدارة الأميركية بعيداً في مواجهة السعودية أمراً غير موثوق بالنسبة إلى الكثير من الأميركيين، أقلّه في هذه المرحلة. وهو أمر عبّر عنه الزميل الأول في معهد «كاتو»، جاستن لوغان، بالقول، في تصريح، إنه «عندما يتعلّق الأمر بجهود الولايات المتحدة لجعل السعودية تفعل ما نريده، فإن واشنطن تبدو كمَن ينبح ولا يعضّ، والرياض تعلم ذلك». ويبدو أن ردّ فعل بايدن الأوّلي على قرار «أوبك +» عندما قال إنه يشعر بـ«خيبة أمل»، يدلّ على صحّة وجهة نُظر لوغان، ويؤشّر إلى أن واشنطن مكبّلة، بطريقة أو بأخرى، في مواجهة ابن سلمان، الذي بدا أنه يُحسن استغلال نقاط ضعف الرئيس الأميركي، وحاجة الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، إليه، في الوقت نفسه.

> أعادت ردود الفعل الأميركية العنيفة فتْح الملفّات دفعة واحدة في وجه وليّ العهد السعودي

دعوة لحضور جمعية عمومية عادية سنوية

يتشرف مجلس إدارة شركة **مجموعة اقرام الصناعية ش.م.ب. (هولدنغ)** بدعوة حضرات المساهمين لحضور جمعية عمومية عادية سنوية المقرر عقدها في مجلتون، بناية اندفكو II، الطابق الخامس، يوم **الجمعة** الموافق فيه ٢٠٢٢/١١/١١ في تمام الساعة **الحادية عشرة** قبل الظهر، وتحديد جدول أعمالها كما يلي:

١- تلاوة تقريري مجلس الإدارة **العام والخاص** عن الدورة المالية المنوفوطة بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٣١.
٢- تلاوة تقريري مفوضي المراقبة **العام والخاص** عن الدورة المذكورة.
٣- **المصادقة** على تقريري مجلس الإدارة ومفوّضي المراقبة وعلى الميزانية المنوفوطة بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٣١ وعلى حساب الأرباح والخسائر للدورة المذكورة.
٤- إبراء ذمّة **رئيس وأعضاء مجلس الإدارة** والأشخاص المفوّضين عن أعمالهم خلال سنة ٢٠٢١ المالية.
٥- **التوقيف** لأعضاء مجلس الإدارة بالتضامن مع الشركة وفقاً لأحكام المادة ١٥٨ تجارة والمادة ١٥٩ تجارة.
٦- البحث **في تفويض بعض الصلاحيات الإضافية** لمجلس الإدارة.
٧- **تعيين** مفوض مراقبة **أساسي** للعام ٢٠٢٢ وتحديد أتعابه.
٨- البحث **في إصدار سندات دين**.
٩- أمور أخرى طارئة ومختلفة.

مجلس الإدارة

تقرير

اجتماع مرتقب لوزيرَي الخارجية
أنقرة ـ دمشق: بوادر تقدّم

علاء حلبي

لم يكن تعيين نائب وزير الخارجية السوري وسفير سوريا ومبعوثها السابق إلى الأمم المتحدة، بشار الجعفري، سفيراً في موسكو، مفاجئاً للأوساط السياسية والإعلامية. إذ سبقت هذا التعيينَ تسريباتٌ عديدة أكدت أن الجعفري سيَخلف رياض حداد، ضمن سلسلة تعيينات جديدة تشمل سفراء سوريا في دول عدّة، من بينها البرازيل وفنزويلا وباكستان والبحرين. غير أن تَزامُن اختيار الرجل المعروف بجنكته وبلاغته وخبرته الطويلة، مع عودة النقاشات السورية - التركية بدفْع روسي - إيراني، أثار نوعاً من الربط في ما بينهما، وخصوصاً في ظلّ الأنباء المتواترة من موسكو حول إمكانية الانتقال إلى خطوة جديدة على خطّ دمشق - أنقرة، على مستوى وزيري الخارجية هذه المرّة، وفق نائب وزير الخارجية ونائب الرئيس الروسي للشرق الأوسط وأفريقيا، ميخائيل بوغدانوف، الذي أكد أن «الجانب الروسي يشارك بنشاط في حوار مع الشركاء بشأن اقتراح توفير منصّة لاجتماع وزيري خارجية سوريا وتركيا».

وسبقت تصريحاتُ بوغدانوف بساعات، أخرى أطلقها الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، من العاصمة التشيكية براغ، حيث أعاد إبداء رغبته في لقاء نظيره السوري، بشار الأسد، «عندما يكون الوقت مناسباً»، في ما قد يؤشّر إلى نوع من التقدّم في الحوار السوري - التركي، الذي ينحصر في الوقت الحالي بالمستوى الأمني. وفي هذا الإطار، تحدّثت وسائل إعلام تركية، قبل أيام، عن جولة مباحثات أمنية جرت بين دمشق وأنقرة، تُعدّ الثانية من نوعها، بعد أولى استضافتها العاصمة السورية الشهر الفائت. وترافقت هذه الأخيرة مع رفْع أنقرة وتيرة تصريحاتها الودّية تجاه دمشق، في مقابل صمتٍ سوري كسرتْه تصريحات وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد، من موسكو، والتي ربط فيها التطبيع مع تركيا بانسحابها من المناطق التي تسيطر عليها في الشمال السوري، وقطْع علاقتها مع الفصائل المسلّحة، بالإضافة إلى حلّ مشاكل أخرى تتعلّق بالمياه.

وتُواجه المحاولات الروسية للدفْع نحو تطبيع سوري - تركي مجموعةَ من المعوّقات، بعضُها يتعلّق بخريطة الميدان السوري والمصالح المرتبطة بها، وبعضها الآخر يتّصل بالمتغيّرات السياسية ومحاولات الولايات المتحدة توسيع حضورها السياسي والعسكري في هذا البلد لعرقلة المساعي الروسية. لكن مع ذلك، ثمّة عوامل عديدة أخرى يمكن أن تؤدّي دوراً إيجابياً لمصلحة التطبيع بين أنقرة ودمشق، أبرزها التوافق السوري - التركي على ضرورة خروج القوّات الأميركية من سوريا. وتُجلّي التوافُقَ المُشار إليه سلسلة تصريحات شديدة النبرة أطلقها إردوغان ضدّ الولايات المتحدة ودورها على الساحة السورية، والاتّهامات المباشرة لواشنطن بدعم عمليات تَصفها أنقرة بـ«الإرهابية»، وآخرها حديث وزير الداخلية التركي، سليمان صويلو، عن تورّط الأميركيين في دعم هجوم على مركز للشرطة في مرسين. أيضاً، ازدادت في الآونة الأخيرة ملامح التنافس التركي - الأميركي على المعارضة السورية، حيث قابلت واشنطن محاولات أنقرة ترويض المعارضين وتجهيزهم لمرحلة انفتاح مقبلة على دمشق، بإعادة تنشيط علاقاتها مع «الائتلاف».

وأمام هذه التعقيدات، ثمّة قراءات عديدة في الأوساط السياسية، تتحدّث عن دور كبير يُنتظر أن يقوم به الجعفري في المرحلة المقبلة على مستويات عدّة، على رأسها تسريع وتيرة المباحثات السورية - التركية. وفيما لم تتّضح بعد ملامح الخلاصة المبدئية للنقاشات الأمنية بين أنقرة ودمشق، ومدى قابليّة انتقالها إلى المستوى الدبلوماسي، تؤشّر المعطيات على الأرض إلى أن كلّ طرف يعمل حالياً على اتّخاذ خطوات محسوبة. إذ إن الحكومة السورية افتتحت أخيراً مركز تسوية خاصاً بإدلب، فيما شرعت السلطات التركية في التمهيد لفتْح معابر دائمة بين مناطق سيطرة الفصائل ومناطق سيطرة الحكومة السورية.

تزامن تعيين الجعفري مع استمرار النقاشات السورية - التركية بدفع روسي - إيراني (أ ف ب)

العالم

تركيا

عودة جدل الحجاب
مزايدات في البازار الانتخابي

محمد نور الدين

تُعتبر مسألة الحجاب العنوان الأكبر للصراع بين العلمانيين والإسلاميين في تركيا، منذ اعتماد العلمنة في جمهورية أتاتورك الحديثة، حيث كان على النساء في الوظائف العامّة الرسمية والجامعات والمدارس ألّا يرتدين الحجاب تحت طائلة المسؤولية. لكن المشكلة بدأت تأخذ حيّزاً من انشغالات الجمهورية منذ السبعينيات، مع منْع بعض الطالبات المحجّبات من دخول الجامعات، قبل أن تتحوّل إلى مادّة يتجاذبها التّياران المتصارعان، خصوصاً على مسرح الجامعات، والذي كانت تعاميم مجلس التعليم العالي بخصوصه، تتغيّر تبعاً لتغيّر الأحزاب المُمسِكة بالسلطة، فتسمح بالحجاب أحياناً وتمنعه أحياناً أخرى. وفي منتصف التسعينيات، ازدادت أهمّية هذه المسألة مع إدلاء نجم الدين أربكان، رئيس «حزب الرفاه»، والذي شغل أيضاً رئاسة الحكومة بين عامَي 1996 و1997، بتصريح قال فيه إن على الجنرال العسكري أن يلقي التحيّة على المرأة المحجّبة في حال مرّت أمامه، ليستثير بذلك غضب العسكر، الذي سارع إلى الإطاحة بالرجل في «انقلاب أبيض» في 28 شباط 1997، ليظلّ أربكان صامداً حتى حزيران من العام نفسه، ثمّ يجبر على الاستقالة من رئاسة الوزراء. ودخل أمين عام مجلس الأمن القومي حينها، تونجير كيليتش، على الخطّ آنذاك، ليقول إن ارتداء الحجاب ليس فرضاً دينياً، بل هو زيّ ترتديه النساء الأناضوليات نتيجة العوامل المناخية والأعمال في الزراعة.

مذّاك، غرقت تركيا في مسألة الحجاب التي استغلّها الزعماء الإسلاميون للظهور بمظهر الضحيّة. ولعلّ من أشهر الحوادث المتّصلة بهذا الشأن، فوز مروة قاواقجي بمقعد نيابي عن «حزب السعادة»، الذي ورث «حزب الرفاه»، في انتخابات عام 1999. إذ إن نواب حزب «اليسار الديموقراطي» الحاكم حينها، وعلى رأسهم بولنت أجاويد، عمدوا إلى الطرق على الطاولات في البرلمان أثناء دخول قاواقجي إلى القاعة بحماية النائبة عن «السعادة» العلماني، نازلي إيليجاق، فيما أطلق أجاويد عبارته الشهيرة: «ضعوا حدّاً لهذه المرأة»، قبل أن تُمسك إيليجاق بيَد زميلتها وتُخرجا معاً من القاعة. ومن بعدها، رُفعت دعوى على قاواقجي بذريعة أنها كانت تحوز الجنسية الأميركية ولم تصرّح عن ذلك مسبقاً، ليُسقط القضاء نيابتها.

وشكّلت قضية الحجاب واحداً من أسباب نجاح «حزب العدالة والتنمية» في انتخابات عام 2002. لكن وصول حزب «العدالة والتنمية» إلى السلطة بكلّ مواقعها، وكسْر نفوذ العسكر في السياسة باستفتاء عام 2010، فتح المجال واسعاً لحلحلة الأزمة. إذ تحرّرت المرأة، بعد معاناة طويلة، من أغلال نزع الحجاب على أبواب الجامعات والمؤسّسات الرسمية والمدارس وحتى بعض الأسلاك الأمنية والعسكرية، بل أصبحت مروة قاواقجي أوّل سفيرة محجّبة لبلادها في ماليزيا عام 2017، فيما بات أمراً اعتيادياً وجود محجّبات وزيرات ونائبات وما إلى ذلك.

اليوم يأتي كيليتشدار أوغلو ليوقظ «الشياطين» من سُباتها. فمساء الإثنين الماضي، اقترح الرجل، عبر تغريدة، تثبيت حق المرأة والموظفة والطالبة الجامعية وجميع النساء في ارتداء الحجاب في كلّ المؤسّسات وفي أيّ مكان، من خلال تقديم مشروع قانون يُسنّ في البرلمان. وفاجأ هذا الاقتراح الرئيس إردوغان، لكن الأخير بدا كمَن عثر على كنز مدفون، إذ زايَد على الأوّل بقوله إنه مع تثبيت هذا الحق، ليس في القانون فحسب، بل في الدستور نفسه. وبينما ظنّ إردوغان أنه سدّد «ضربة قاضية» إلى خصمه العلماني، فقد عاد كيليتشدار أوغلو ليُنقض عليه بالقول إنه إذا كان لا بدّ من إدراج قضية الحجاب في الدستور، فلْنُدرج في بند واحد قضية الحريات بكلّ أشكالها، ومن ضمنها حرية ارتداء الحجاب، وأيضاً حرية الأقليات - وفي مقدّمهم العلويون - في المعتقد والممارسة وحقّ الاستفادة من موارد الدولة.

وهكذا، عادت مناقشات الحجاب إلى الساحة السياسية، لتؤكّد مرّة أخرى أن قضية متّصلة بالحريات الشخصية ولا تحتاج لا إلى قانون ولا إلى بنْد في الدستور، هي قضية سياسية بامتياز، شأنها شأن الكثير من القضايا التي لم ترغب العلمانية في تركيا في إيجاد حلّ لها، تماماً كما لم يَشأ الإسلاميون معالجة قضايا أخرى من مِثل حقوق العلويين في المساواة في المواطنية مع اتباع المذهب السُّني، حيث تحظى رئاسة الشؤون الدينية الخاصة بالسُّنة بميزانية هائلة تفوق ميزانية عدّة وزارات مجتمعةً، فيما لا يُعترَف بالعلويين كمذهب مستقلّ، ولا بأماكن عبادتهم ولا بميزانية من الدولة. على أن المثير في «العاصفة الجديدة» أن رائحة الانتخابات تفوح بقوّة منها، إذ إن كيليتشدار أوغلو، سواءً ترشّح هو أو غيره، يريد أن يكسب بعض جمهور ينتمي إلى «حزب العدالة والتنمية»، بينما إردوغان يريد أن يزايد على خصمه ويمنعه من تحقيق انتصار بالنقاط في هذه المرحلة.

وعلى ما يبدو، فإن ما كان يعتقده الأوّل «ربحاً صافياً باليد» انقلب عليه، لكن ليس بالضرورة لمصلحة الأخير الذي لا يزال يرفض إدراج حقوق العلويين في البنْد الدستوري. وعلى الأرجح، قد تنتهي المعركة إلى «خاسر- خاسر». ذلك أن كيليتشدار أوغلو، باقتراحه تشريع الحجاب بقانون، استثار أوساطاً علمانية كثيرة ترى في حسْر قضية دينية في دستور علماني، أمراً لا موجب له، بل وسبباً في تجويف العلمانية من مضمونها، بل إن بعض العلمانيين وصفوه بـ«العار» وبأنه «تمريرة خاطئة» إلى اللاعب الخصم، وهو ما دفع إردوغان إلى استغلاله، والقول إنه إذا خرج من السلطة سيعود ظلم المحجّبات. وهكذا، ربما ينقلب الأمر على كيليتشدار أوغلو، فتتراجع حظوظه في أن يكون مرشّح المعارضة للرئاسة، باعتباره أظهر «انتهازية واستغلالاً للدين»، شأنه شأن إردوغان الذي يستثير النزعات المذهبية ضدّ العلويين لكسب بعض الأصوات الإضافية من السُّنة. وبالنتيجة، فإن الخاسر الأكبر من هذه المعركة، لن يكون إلّا تركيا.

تعتبر مسألة الحجاب العنوان الأكبر للصراع بين العلمانيين والإسلاميين في تركيا (رئيف)

> كيليتشدار أوغلو، سواءً ترشّح هو أو غيره، يريد أن يكسب بعض جمهور «العدالة والتنمية»

◄ إعلانات رسمية ►

دعوة

ورقة دعوة صادرة عن محكمة الشياح الشرعية الجعفرية، موجهة الى محمد بن طاهر بن عيسى البناوي مجهول محل الاقامة في الدعوى المقامة عليك من فاطمة منير مصطفى بمادة نفقة اساس 2022/1094 تعين موعد الجلسة فيها يوم الخميس في 2022/11/10 فيقتضي حضورك او ارسال من ينوب عنك الى قلم المحكمة قبل موعد الجلسة لاستلام نسخة عن استحضار الدعوى وإلا اعتبرت مبلغاً حسب الاصول، وجرت بحقك المعاملات القانونية وكل تبليغ لك على لوحة الاعلانات في المحكمة حتى تبليغ الحكم القطعي يكون صحيحاً.

رئيس القلم

علي حسين عواد

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب ركان رجا عمرو وكيل شامل محمد أبو سعد سند تمليك بدل ضائع للعقار 5/5419 عاليه.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب موريس عبد النور الهبر بصفته الشخصية سند تمليك بدل ضائع للعقار 597 المنصورية وعين المرج.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت جنفياف امين الحويك وكيلة رامي كريم الحويك سند تمليك بدل ضائع للعقار 1837 بدادون.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب جمال محمد الشحاده بصفته الشخصية سند تمليك بدل ضائع للعقار 26/2629 القبة.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

ليليان داغر

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب احمد عباس جوهر وكيل سلمان عبد الرضى سويدان وكيل عماد عبد الرضى سويدان سند بدل ضائع للعقار 6777 الشياح.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب فضل خضر سليم وكيل محمد محمود مهدي سند ملكية بدل ضائع للعقار 483 برج البراجنة.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب احمد عباس جوهر وكيل ابراهيم اسماعيل عبادي سند ملكية بدل ضائع للعقار 5/6902 C الشياح.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت امل علي الحسيني سند ملكية بدل ضائع للعقار B8/4160 الحدث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب الياس يوسف حنا سند ملكية بدل ضائع للعقار 1283 ترشيش.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب المحامي ابراهيم نعيم كرنيب وكيل فؤاد السيد حسن فضل الله المشتري من احمد محمد بردي سند ملكية بدل ضائع للعقار 24/904 حارة حريك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب عباس علي الغول وكيل عباس علي الموسوي سند ملكية بدل ضائع للعقار B 27/1435 حارة حريك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب قاسم محمد حرب وكيل مروان حسن الحركه سند ملكية بدل ضائع للعقار 8/849 برج البراجنة

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت حياة يوسف العساولي وكيلة رمزي بشير مكارم سند ملكية بدل ضائع للعقار 7/2153 عاريا.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب حنا سليم طربيه سند ملكية بدل ضائع للعقار 14/5129 بعبدا.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت ماري الياس ابي نادر وكيلة الياس جرجس ابي نادر سندات ملكية بدل ضائع عن حصته في العقارات 387، 390، 394، 400، 616، 620، 661، 739، 743، 391 راس الحرف.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت ريتا فؤاد وهبه وكيلة ورثة محمد خلفان بن خرباش سندات ملكية بدل ضائع للعقارات 1546، 607، 608، 609، 611، 614، 1049 فالوغا ووكيلة عبد الرحمن محمد خلفان بن خرباش بدل ضائع للعقار 610 فالوغا ووكيلة عبدالله محمد خلفان بن خرباش بدل ضائع للعقار 605 فالوغا.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب لينا سليم طربيه سند ملكية بدل ضائع للعقار 14/5129 بعبدا.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت ماري الياس ابي نادر وكيلة الياس جرجس ابي نادر سندات ملكية بدل ضائع عن حصته في العقارات 387، 390، 394، 400، 616، 620، 661، 739، 743، 391 راس الحرف.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب محمود محمد هزيمة سندي ملكية بلد ضائع للعقارين 16/343 A الليكلي و 20/4327 E الحدث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب محمود عبد الرحمن المصري وكيل عائشة محمد صابر غلاييني وريما محمود المصري سندي ملكية بدل ضائع للعقار 8/4844 الشياح.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب ماجد حسن صبرا وكيل رويده هاني المقداد سند ملكية بدل ضائع للعقار 59/801 حارة حريك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب الياس اسعد كرم سند ملكية بدل ضائع للعقار 451 بسابا.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت المحامية ستيفاني سبع الفغالي وكيلة ابلي جوزف الفغالي بوكالته عن جان دارك عبده الفغالي احد ورثة حارس عبدو الفغالي سندات ملكية بدل ضائع عن حصته في العقارات 457، 496، 510، وادي شحرور العليا و570، 586، 289، 288 حارة الست.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب محمد عبدالله نعمه وكيل علي عبدالله نعمه سند ملكية بدل ضائع للعقار 7/533 A تحويطة الغدير.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب احمد عباس جوهر وكيل سلمان واسماعيل عبد الرضى سويدان سندي ملكية بدل ضائع للعقار 6778 الشياح.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب شاهين حمد معضاد سند ملكية بدل ضائع للعقار 1668 الشبانية.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب محمد محمد هزيمة سندي ملكية بلد ضائع للعقارين 16/343 A الليكلي و 20/4327 E الحدث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب محمود عبد الرحمن المصري وكيل عائشة محمد صابر غلاييني وريما محمود المصري سندي ملكية بدل ضائع للعقار 8/4844 الشياح.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب ماجد حسن صبرا وكيل رويده هاني المقداد سند ملكية بدل ضائع للعقار 59/801 حارة حريك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب الياس اسعد كرم سند ملكية بدل ضائع للعقار 451 بسابا.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلبت المحامية ستيفاني سبع الفغالي وكيلة ابلي جوزف الفغالي بوكالته عن جان دارك عبده الفغالي احد ورثة حارس عبدو الفغالي سندات ملكية بدل ضائع عن حصته في العقارات 457، 496، 510، وادي شحرور العليا و570، 586، 289، 288 حارة الست.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب محمد عبدالله نعمه وكيل علي عبدالله نعمه سند ملكية بدل ضائع للعقار 7/533 A تحويطة الغدير.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب احمد عباس جوهر وكيل سلمان عبد الرضى سويدان وكيل عماد عبد الرضى سويدان سند بدل ضائع للعقار 6777 الشياح.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

من أمانة السجل العقاري في عاليه

طلب قاسم محمد حرب وكيل مروان حسن الحركه سند ملكية بدل ضائع للعقار 8/849 برج البراجنة

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري في عاليه

نايفه شبو

إعلان

تعلن وزارة الزراعة – مصلحة زراعة البقاع عن رغبتها طرح بطريقة المزايدة العلنية تلزيم استثمار وتشحيل أشجار حرجية ملك الجمهورية اللبنانية في بلدة المحيدثة قضاء راشيا ملك الجمهورية اللبنانية على العقارين رقم 1977/ و1970 من نوع سنديان (عدد 2000) وملول (عدد 6000) قيقب (عدد 200) إيجاص بري (عدد 200) زعرور (عدد100) والذي يحدهما:

العقار رقم 1977	العقار رقم 1970
شرقاً: العقار رقم 1976	شرقاً: العقارين 1969 و 1973
غرباً: العقار رقم 1978	غرباً العقار رقم 1979
جنوباً: خراج كوكبا	جنوباً: العقارات 1973 – 1976 – 1978
شمالاً: العقار رقم 1976 والعقار رقم 1978	شمالاً: طريق زراعي والعقار رقم 1968

ستقام جلسة المزايدة يوم الخميس الواقع فيه 2022/10/20 الساعة العاشرة والنصف صباحاً في بلدة المحيدثة.

فعلى الراغبين بالاشتراك، الحضور إلى وزارة الزراعة – مصلحة زراعة البقاع أو دائرة التنمية الريفية في البقاع أو مركز أحراج راشيا أو بلدية المحيدثة للاطلاع على دفتر الشروط المطلوب أثناء الدوام الرسمي.

زحلة في 2022/10/5

رئيس مصلحة زراعة البقاع بالتكليف

الدكتور خليل عقل

مبوب

مطلوب

مطلوب للعمل في دار الساقي ببيروت مصمّم/ة أغلفة خبير/ة في برامج Photoshop, InDesign, Illustrator.

للتواصل: info@daralsaqi.com

استراحة

كلمات متقاطعة 4143

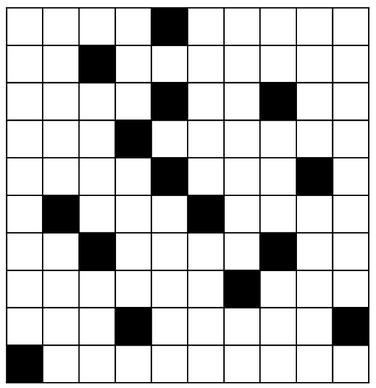

أفقيا

1- مدينة روسية – من الخضر – 2- دولة أفريقية – حرف جر – 3- للإستدراك – ضمير منفصل – من جبال لبنان – 4- مدينة أوكرانية – صوت الإنفجار – 5- مدينة أثرية في مصر – حفظه في مكان أمين – 6- دولة أميركية – إنسان – 7- ود – مكوّن من الكاز – إله مصري – 8- عائلة مخرج سينمائي هندي راحل – جزيرة آسيوية كبرى – 9- غنجها – كثر الماء حتى سال – 10- القصر الرئاسي في دمشق

عمودياً

1- من الحيوانات البحرية – 2- شبه جزيرة في بريطانيا عاصمتها كرديف – بقايض – 3- إله – معبر – يجمع الزهور ويضمّها – 4- سياسي كمبودي راحل – خاصته – 5- لاعب كرة قدم هولندي راحل أفضل لاعب على مستوى العالم – مدينة سعودية – 6- كثير الزواج – 7- خلاف عام – صوت القلم – 8- دعوة الى الشعب – إبعاد الشخص خارج حدود بلاده – 9- مادة مخدّرة – وجه ممتلىء كثير اللحم – 10- رئيس لبناني راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- هوغو تشافيز – 2- الراهن – جري – 3- دسيس – قم – فا – 4- يو – طشقند – 5- شنر – الب – لب – 6- يم – غرموط – 7- الشبكة – 8- را – اي – مارس – 9- بر – لومي – 10- هوكي – زنبق

عمودياً

1- هادي شرارة – 2- ولسون – لا – 3- غري – ريش – بو – 4- واسط – مبارك – 5- هتّ – شا – كي – 6- شنق قلعة – 7- منبر – موز – 8- فج – مكامن – 9- برڤ – لو – ريب – 10- زياد بطرس

sudoku 4143

1		6	8					5
	3			4		6		8
5	7		2			4		1
		9	7		2			
	6	1		3			2	
			4		9	1		
		7			4			9
6		4		5			8	
8					1			6

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4142

7	5	2	6	4	8	1	9	3
6	3	1	9	2	5	7	4	8
4	9	8	7	1	3	2	5	6
5	7	6	1	3	2	4	8	9
1	2	4	8	6	9	5	3	7
9	8	3	4	5	7	6	2	1
3	6	5	2	8	1	9	7	4
2	4	9	3	7	6	8	1	5
8	1	7	5	9	4	3	6	2

مشاهير 4143

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

عالم ألماني (1939-2018) حائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام 2007 بسبب إكتشافه تكنولوجيا تتيح قراءة المعلومات المخزنة على القرص الصلب

5+7+4+2+1 = 11+8+6+7+5 ■ مؤسس الغستابو ■ 3+7+4+2+1 = عاصمة عربية ■ 9+10 = إحسان

حل الشبكة العاطية: محمد الاشعري

إعداد نعوم مسعود

الأخبار
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

البلاد

انتفاضة شعب

عن المعجزة

مطر عدوان

لم نمت كثيراً، ولم نمت قليلاً، متنا فقط.

كيف تتحرّر فلسطين؟ لا أعرف إن كان هذا هو السؤال الصحيح، كما لست متأكداً من أن إعادة صياغته بطريقة أخرى، يمكن أن تريح. المشكلة بالسؤال، ليست بـ «كيف»، وليس بـ «تتحرر»، المشكلة بـ «فلسطين»، أي فلسطين التي نريدها أن تتحرر؟

في قصيدته «مديح الظل العالي» يقول الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش، مسترسلاً في نغمه وثورته الشعرية «وحُدنا بمعجزة فلسطينيّة» بعد أن يقول «انتصرْ». المعجزة تبدو متاحة باليد، ولم نعد بعيدين عنها، والملامح المشيرة إليها باتت كثيرة جداً، وتشير إليها التفاصيل اليومية، فالفدائي يعود إلى المشهد، ويشغل الحيز الأكبر من اهتمام الشارع الذي ضاق ذرعاً بالاحتلال وأفعاله، كما كان في كل وقت، لكنه اليوم، يعود ليخرج ما في قلبه، فالبيوت الغارقة في أحزانها على أولادها الشهداء والأسرى، تمتلئ يوماً بعد يوم بالثورة، وتصعد تدريجاً نحو أفق يراه الشعب كل يوم، إنه الانتفاضة. الانتفاضة ليست هي المعجزة، إنما الشعب الفلسطيني الذي يمتلك كل أسباب اليأس والانكسار، لكنه لم ينكسر، بل انتصر مراراً على نفسه وعلى عدوه «فاظهر مثل عنقاء الرماد من الدمار».

> الانتفاضة ليست هي المعجزة إنما الشعب الفلسطيني الذي يمتلك كل اسباب اليأس

لم نمت كثيراً

كان موعد المولد الطويل تأجل، واتخذ لنفسه أبواباً كثيرة، لم يكن لنا منها نصيب، فلم نذب، ونقاوم الفناء، وقد أرسلنا حكايتنا مراراً بحجارة رماها أطفالنا على الأعداء، وما استسلم، ولا استسلمنا، لكننا نكتب الحكاية، ونرسم صفاتنا التكوينية على جدار رفعوه ليقض هويتنا الوطنية، ويجعلنا - يجعلونا حفاة في صحراء المعنى الفلسطيني لوجودنا. كنا ولم يكن منهم أحد، ونحن نبتسم خلف الزنازين كائنا نولد، وكان الأسماء الأولى للأشياء تنطقها شفاهنا، فلا يفهم الآخر (عدونا اليومي) لغة تنتصر في المجاز على الهزيمة، فينتصر المبتسم، ويتنحى المجاز للعب دور آخر في حكاية فلسطين الطويلة.

لم نمت قليلاً

نحتاج إلى الهدوء، لنفكر بوردة في الحديقة زرعناها قبل سنين، فأزهرت ورداً فوق القبور، تلك الوردة كانت فلسطينياً يمشي بين المدن والقرى، ياكل من عدس الأرض وبصلها، ويشرب من نبعها، كان الفلسطيني هذا أبدع من أن يكون شهيداً، لكنه استشهد، فصار أبدع من الخيال، صار القصيدة والرواية، وصار الشهيد شهيداً، وعلا في البلاد نجماً جديداً، فلم يمت، لكنه استفاق في الورد، وصاح في الفجر، أنا البلاد أنا البلاد.

متنا

تبدو حكايتنا الفلسطينية، حكاية موت، هذا ظاهر منها، شهداء كثر في المعارك مع الاحتلال، وشهداء كثر في مجازر بأيدي إسرائيل وأيدي مريديها. وأسرى، أحياء بكل ما لدى الحياة من حياة، وأسر تتناسل لتنجب «زعتراً ومقاتلين». لقد جئنا لنكون، وقد جئنا لنحيا كما نريد، أحراراً بيد الحرية، وأحراراً بيد الانتفاضة، وأحراراً نقتل الموت، ونحيا. لم نمت، ولن نموت.

«سقطتْ ذراعك فالتقطها، واضرب عَدُوَّك ... لا مفرَّ، وسقطتْ قربك، فالتقطني، واضرب عدوك بي... فأنت الآنَ حُرٌّ، حُرٌّ، وحُرٌّ...».

... ذاكرة المستقبل

موسى جرادات

في لحظات تجد نفسك، تنتقل بسرعة من محطة إلى أخرى، ومن شخصية إلى شخصية أخرى، ومن حياة الرتابة إلى حياة مليئة بالمغامرات والتحديات، وكل ذلك على إيقاع القناعات المخبوءة في داخلك، إنها الانتفاضة، تفعل فعلها، وتقودك إلى اكتساب خبرات معرفية وعملية، لولاها لم تكن لتصل إليها.

لقد قيل عن انتفاضة الحجارة في فلسطين الكثير، كتابات وثّقت أحداثها، أشعار، وروايات، وبوميات، وتحليلات سياسية، لكن التجربة بالفعل أوسع من ذلك، إنها تاريخ لمن عاصروها، وعايشوها، تاريخ ممتدّ حتى هذه اللحظة، فكيف وهي التي شكّلت الوعي الفردي والجمعي، لأمّة خرجت تفتش عن نفسها، في لحظة النسيان والتجاهل المزمن لها، وتحت زخات رصاص أعدائها، بدمها صنعت ملحمتها في الانتفاضة الكبرى وكتبت تاريخها، وهي التي لا تزال حتى هذا الوقت مشتعلة، ويحملها جيل جديد، من الشباب الثائر، لكن البدايات هي التي أسهمت وإلى حدّ بعيد في رسم معالم هذه المرحلة.

كسرنا حاجز الخوف

في المدرسة، ومع نهاية سنة 1987، وبداية سنة 1988، كانت فلسطين على موعد جديد مع نداء الحرية الذي دوّى في مخيم جباليا في قطاع غزة، ليصل صداه بعد يومين إلى مخيم بلاطة في نابلس. الزملاء يتهامسون في ساحة المدرسة، يتناقلون الأخبار التي تصل من غزة ومن نابلس، ويسألون، ما العمل؟ لم نكن ندري أن بيننا، من يتجهّز لأخذنا معه إلى درب الحرية، في اليوم التالي جاء محمد الذي يكبرني بسنة واحدة، وطلب مني الاستعداد غداً، للخروج بتظاهرة. في صباح اليوم التالي، كانت قريتي السبلة الحارثية وثانويتها في جنين، هي السبّاقة لنداء جباليا وبلاطة، أربعة أيام فقط، لنخرج كل هذا المخزون من الحب والفرح والانتماء

(إيهم حمادة)

> أتذكّر احد الاصدقاء وهو يحدّثنا في المدرسة عن بطولة وشجاعة سناء الفتاة، التي فجّرت نفسها بقافلة عسكرية لقوات الاحتلال

التي كان عمادها ووقودها مدرستي الثانوية. أيام الأسبوع قسّمت على هدي تلك الأنشطة. بسبب ذلك، أدرك الاحتلال، منذ اللحظة الأولى للانتفاضة، الخطورة التي شكّلتها المدرسة عليه، فعمل من حينها على محاصرتها وترويع الطلبة بهدف منعهم من الانخراط. وعلى الرغم من هذا، فإن تلك السياسات لم تثمر إلا مزيداً من الانخراط، فلجأ إلى إطلاق النار المباشر علينا، عشرات الإصابات بالأعيرة النارية، أصابت الطلبة في الأشهر الأولى من عمر الانتفاضة، وبعدها جاء الاعتقال الأول والثاني، هناك التقينا معاً، أبناء جنين والخليل وقلقيلية ومخيم الفارعة وغيرها من المناطق، ربما قد زار السجن، في تلك الفترة، أكثر من نصف طلبة المدرسة. ومع أن فترة الاعتقال كانت قصيرة نسبياً ولم تتجاوز بضعة أشهر، إلا أنها كانت كفيلة بصقل الشخصية ومدّها بالتجارب. ففي المعتقل يلتقي كل أبناء الضفة، وهناك يزاوجون الخبرات، ويفشل المحتل في تحويل السجن إلى أداة للعقاب كما أراد، فما يحدث هو ما كنا نريد. ففي الليالي المقمرة غنّينا داخل الخيمة، وأذكر في إحدى الليالي أننا سمعنا صوت بكاء شبيه العويل، التفتنا نحو صاحب الصوت، وإذا به أحمد من مخيم جنين. حاولنا جميعاً مواساته، ومعرفة سبب هذا البكاء في تلك الساعة المتأخرة من الليل. الكل منهمكون بافتراض السبب، وأحمد لا يجيب، وبعدما عدّ المعتقلون كل الأسباب الموجبة لهذا البكاء، ظل أحمد صامتاً، وبدلاً من هذا، كان يجيب بهزّ الرأس، بإشارة إلى النفي. مرت دقائق، أجاب بعدها أحمد عن السبب الذي دفعه إلى البكاء. أخبرنا أن له ثلاثة إخوة داخل المعتقلات، وأن والدته عجوز ووحيدة الآن، ولديه العديد من الحيوانات الأليفة، كان يعتني بها، والآن لا يعرف من الذي يطعم تلك الحيوانات ويسقيها، فهو يخشى عليها من الهلاك. أحمد، صاحب القلب المرهف والحساس، لم يهزمه السجن ولا السجّان، هزمته إنسانيته أمام الغياب عن البيت وتولّي المسؤوليات. أمضينا تلك الليلة ضاحكين مندهشين، نسأل من أيّ طينة أحمد؟ وكيف استطاع أن يخبّئ في قلبه كل هذا الحب والعطف والرفق بالحيوان. بعدها جاءنا أمجد، ملابسه ملطخة بالدم، بقي طوال فترة الاعتقال ملازماً لها، الدماء التي سالت منه في غرفة التحقيق وغطّت ملابسه، رفض أن يخلعها لأنها هدية من حبيبته، متعهداً أن تبقى معه حتى اللقاء بعد الإفراج.

أحداث كثيرة مرّت داخل السجن، كلها تشبه أصحابها. أحدهم في وقت الزيارة القصيرة، كان يسأل أهله عن الحي والأصحاب. كان بجانبي، سمعته يسأل عن حمدة. عند انتهاء الزيارة، ونحن عائدون إلى القسم، سألته من تكون حمدة، فالاسم يحمل غرابة، أجابني بأنها مئذنة المسجد القريب من بيته، حيث اعتاد أن يشرب قهوته الصباحية أمامها، ويستعيد شريط الذكريات. لكل سجين حكايات يرويها، حكايات شخصية، لكنها في الجمع حكايتنا. في المعتقل ينهل الجميع من تجارب الآخرين، لتتحول الانتفاضة إلى ملحمة صنعتها إرادة الشعب بكل أطيافه.

قبل الانتفاضة

لا بد من الإطالة على المشهد العام الذي سبق الانتفاضة بسنوات قليلة، والذي أسهم إلى حد بعيد في اندلاعها لتأخذ هذا المدى الواسع. فقبل سنتين، كانت فلسطين على موعد مع صفقة لتبادل الأسرى، حيث خرج من السجن أكثر من ألف أسير، خرجوا إلى بيوتهم في مختلف مدن وقرى ومخيمات الضفة وقطاع غزة، أقيمت الأعراس لهم والاحتفالات. هذه الصفقة أسهمت إلى حد بعيد في رفع المعنويات، ثم تلتها عمليات قادمة من جنوب لبنان، حيث عبر الفدائيون البحر ليصلوا إلى شواطئ نهاريا في شمال فلسطين، وبعدها عبر الشهيد خالد أكر ليؤدب معسكرهم الذي سفوه معسكر الأبطال. ومن كان يتصوّر أثر هذا الدخول؟ شاب واحد قادم من سماء لبنان، يستطيع أن يقتحم معسكراً كاملاً للقوات الخاصة، ويقتل ويجرح العشرات من جنودهم. مشهد البطولة أعاد للروح الفلسطينية تألقها وأمدّها بالحياة، وكان اسماً على مسمّى، خالد. لقد حضر في يوميات الانتفاضة كأحد أبطالها، كما حضرت سناء محيدلي، أتذكّر أحد الأصدقاء وهو يحدثنا في المدرسة عن بطولة وشجاعة سناء الفتاة، التي فجّرت نفسها بقافلة عسكرية لقوّات الاحتلال.

كل تلك الأحداث كان لها دور مهمّ في اشتعال نار الانتفاضة وساهمت بدورها، في الإجابة عن سؤال الانتفاضة، وهو كيف يمكن التخلص من الاحتلال؟ وإذا بالجواب يأتي من دماء الشهداء، وأن الطريق هي المقاومة.

الحارثية تحاكي الثورة

منذ اليوم الأول للانتفاضة الكبرى وحتى هذا الوقت، كبرت أعمارنا، ولا تزال الحارثية تمدّها بالثورة والرجال. سنوات الغياب لم تمنعني من المتابعة. أبناء الأصدقاء اليوم في عمر الشباب، يحملون همّ فلسطين، ويبضون بتلون الحكاية، يجدّدونها. الشباب عمود خيمة الوطن، لم يرثوا غير هذا اليقين لن لحظة الحقيقة قادمة لا محالة، تبطئ حيناً، وحيناً تسرع في خطواتها، لنقفل إلى أبطالها، كما حضرت سناء محيدلي، أتذكّر أحد الأصدقاء وهو يحدثنا في

(نذير نبعة)

أهل الأرض

عرين نابلس

«وجود الطفلة في حضن أبيها بدّد غضبي ولذلك غيّرت الخطّة» [الشهيد سمير القنطار عن عمليّته الفدائيّة]

موسى السادة

لمن يتذكّر مشاهد «وحدة الظل» القسامية مع جلعاد شاليط، تلك وهو يقوم بالشواء محاطاً بابتسامات شهدائها، أو وهم يشاركونه المائدة ذاتها على الأرض، فإنّ هذه المشاهد لا تعكس قراراً حربياً وسياسياً تكتيكياً، ينطلق هدفه ويتمحور في إشهار أن هذه أخلاقنا مع الأسرى. فلو أطفأت آلة التصوير أمام الشهداء، لن تتغيّر أفعالهم أو تصرفاتهم، فلا علاقة للممارسة الأخلاقية هنا بالمصلحة والمنفعة الإعلامية، فهم يستطيعون إظهار حسن التعامل بإخراج فيديوات دونما عفوية، لكن مشهد المائدة على وجه التحديد يرينا أن هذه الممارسة لا تنمّ عن منطلق قيمي أخلاقي مجرّد، بقدر ما هي ممارسة أصحاب الأرض أن فلسطين لنا، ونحن نمارس ملكيّتنا لها دون تصنّع، وما نقوم به هو سجايانا وعاداتنا بشكلها المبسّط دونما حسابات. فقط أعيدوا مشاهدة ذلك الفيديو وستتكشّف لكم الفكرة.

لفهم المسألة أكثر، علينا النظر إلى ممارسة الغرباء عن الأرض لـ«الأخلاق» ليس ممارساتهم اللاأخلاقية بل «الأخلاقية» منها، أو ما يراد أن تصوّر أنها كذلك. على سبيل المثال، حين الكشف عن المقبرة الجماعية لشهداء الجيش المصري بداية العام الجاري، المسألة لم تكن من باب «الشفافية» أو «المصالحة مع التاريخ» أو عبر أيّ منطلق «أخلاقي». بل إن المسألة ممارسة فائض قوة، وهي سياسة تتبعها بمثابرة جميعُ مجتمعات ما بعد الإبادة الأوروبية من نيوزيلندا إلى كندا، مروراً بالولايات المتحدة، القائمة على الكشف عن الجريمة بعد وقوعها وحينما تصبح تاريخاً، بحيث يكون لديهم اليوم فائض القوة التاريخي وتبعات الكشف عنها لن تؤثّر عليهم.

إن الوصول إلى مرحلة «ما بعد الإبادة» هو هدف كيان العدو وديدنه، أن تصبح النكبة ماضياً حدث وانتهينا ولا سبيل لنا اليوم لتغييره. من هنا، نفهم هوس الصهاينة هنا بصور الأبيض - الأسود غير المُلوّنة، ورغبتهم في تحويل كل شيء إلى ماضٍ. ومن الجهة الأخرى، نفهم أيضاً أهمية محض وجود الفلسطيني وصموده في أرضه، والأهم دور لاجئي المخيمات في الخارج وألامهم وحفاظهم على هويتهم الفلسطينية وعلى هدف العودة، فالدور التاريخي للمخيم من النيرب إلى البرج الشمالي أن يكون «محطة انتظار لحين العودة» كما خطّ على بوابة مخيم جنين.

إن إشغال وصول الصهاينة إلى حالة مجتمع ما بعد الإبادة يؤيّد إحدى مضلّلاتهم البنيوية التاريخية. يطلق جيش العدو على ذاته أنه «الجيش الأكثر أخلاقية في العالم»، ولا يندرج هذا النعت ضمن حملة الغسيل الأبيض لجرائم الصهاينة للرأي العام الخارجي، بل إن هدفه الأساس مخاطبة مجتمع الكيان لنفسه. الكيان الصهيوني يقوم على التوفيق بين نقيضين، الاستعمار وممارسة الإبادة، من جهة، ومن جهة أخرى أيديولوجية صهيونية قائمة على سردية «استرداد الحق» وصوابية فكرتها السياسية والتاريخية. وعليه، أحد أهم عوامل تماسك جمهور الصهاينة هو ديمومة تصورهم الداخلي للصواب والأحقّية والسموّ الأخلاقي على «العربي الهمجي والمتوحش» الذي يفسد في الأرض حيث هم يعمّرونها. هذه النقطة ليست حصرية للاستعمار الصهيوني، فجميعنا نتذكّر كيف غذّى فينا الأميركيون ونحن أطفالاً نتسامر على أجهزة التلفاز مشاهد أفلام كرتون تستعرض الهندي الأحمر الشرير الذي يتراقص حول النيران، بيد أن كيان العدو يفشل في تحقيق ذلك، وليس فقط لعطبه اللازم بل لأننا نفشله.

إن علاقة الكيان بالخطاب الأخلاقي علاقة نفعية، الأخلاق عنده هي أداة،

> الوصول إلى مرحلة «ما بعد الإبادة» هو هدف كيان العدوّ وديدنه

يستخدمها لضمان استمراريته والحفاظ على الكيان السياسي. موضوع العلاقة بالممارسة الأخلاقية هي أحد أهم مصاديق أنه كيان مصطنع، سكانه دخلاء على هذه الأرض. تصنّع الأخلاق بشكل مبتذل تحت مظلة منظومة أخلاقية ليبرالية، أحياناً تكتسي الثوب الديني كاسم منظمة «بتسيلم» المستوحى من سفر التكوين، هي من ضمن التناقضات الهوياتية والدينية والتاريخية التي يحاول المشروع الصهيوني التوليف بينها بالصمغ. أي أن الخطاب الأخلاقي هنا هو ملازم للوجود المادي للكيان، فعليه، بشكل متعمّد ومهندس، صياغة صورة أخلاقية، كما أن عليه أيضاً تصنّع القوة «الجيش الذي لا يقهر». جدير بالإشارة إليه هنا أن كل هذه الركائز المعنوية التي يقوم عليها الكيان مرتبطة بالجيش، وهذا لا يدلّ فقط على أن هذا المجتمع الاستعماري هو مجرد قاعدة عسكرية كبيرة، بل إن مركزية الجيش بالنسبة إلى الأيديولوجيا الصهيونية نظّر لها بن غوريون بشكل صريح على أنها النواة - أو الصمغ - الذي يوفّق بين هذه التناقضات ويجمعها.

في المقابل، الفلسطيني المرميّ في العراء وبلا كيان سياسي لا يحتاج إلى تصنّعه؛ منظومة أعراف المجتمع وأخلاقه قائمة ضمن هذا السياق بذاتها. وحتى مع استثناء الروافد الأخلاقية العربية الإسلامية، يجب النظر إلى الممارسة الأخلاقية للفدائيين والمقاومين طوال تاريخ الصراع كأحد أبرز مصاديق أننا أصحاب الأرض. سموّنا الأخلاقي ذاتيّ قائم على أننا نمارسه من يقين وإيمان لا ريب فيه بأن فلسطين أرضنا، وممارستنا أخلاق القتال فيها واختيارنا كيف نقاتل غزاتنا هو أحد تعابير سيادتنا وعلاقتنا الأزلية مع هذه الأرض. فلا يخلطنّ أحد ممارستنا للأخلاق مع تبنّي معايير ومنظومات أخلاقية ليبرالية أو قوانين دولية أو أي تخاريف أخرى. الأخلاق الليبرالية المعولمة وجدت في ظل بنية وعالم يدوم فيه امتياز الغربيين على حساب قهرنا. وهي وجدت ليتصنّعها المستعمر والبورجوازية العربية من نخب ومثقفين وأكاديميين الذين يدور رحاهم في الغرب. فلاستحقاق الأخلاق الغربية شرط طبقي، أمّا شرطنا امتلاؤنا لأرضنا، وبإمكاننا إضافة أنها دليل على أننا نشكل حركة تحرر وطني، فلا نحن نتقمّص إجرام المستعمر وعملائه ولا تبنينا منظومة قيمية مشوّهة روّجها وساقنا لسرابها الاستعمار.

هذا الوعي الثوري والسموّ الأخلاقي العربي الذي جسّده مقاومو «عرين الأسود» في نابلس في عدم تعرضهم لأطفال الغزاة، ما هو سوى تجسيد مصغّر لماهيّتنا ولصدق قضيتنا وشرف انتمائهم لفلسطين القضية الأسمى، وأن لبؤرة انتفاضة الضفة اليوم ركيزة ترفع رؤوسنا جميعاً وترتقي لحجم نقاء شهدائها وصدقهم. وعلى النقيض، يعلم العدوّ أثر قتل الأطفال وإعاقتهم، وأنّ استهدافهم المتعمّد والمنهجي هو إحدى ركائز مشروع الإبادة الصهيوني التي لن يتم التوفيق بينها مع أيّ تصنّع للأخلاق. مسألة ارتباط كل حرب في غزة في ذاكرتنا بمجزرة بأطفال من دار وأحدة، آخرها في الساعات الأخيرة من معركة «وحدة الساحات»، ليست اعتباطية، بل رسالة تشفٍّ داخلية لمجتمع العدو «انظروا، لقد قتلنا أطفالهم»، وكذلك للضغط علينا للركون وخوف العاقبة بأنهم سيقتلون أطفالنا. إلا أن الصهاينة، طوال التاريخ، لم ولن يفهموا أن هذا الاستهداف لن يكون رادعاً، ويكفي هنا استذكار أن المعلم أبو رعد صرّح بأنه حسم أمره أنه لن يسلّم نفسه للعدوّ لأن صهيونياً ترجّل من سيارته وأعدم الطفل محمد زكارنة على قارعة الطريق، في مشهد لا يمكن تخيّل أن يقدم عليه صاحب الأرض الحقيقي، فالمتوحّش والهمجي والقاتل والإرهابي هو هم، لا نحن.

البلاد

شتات

مخيّم اليرموك
عودة إلى حياة مؤجّلة

واصف حميدة

تخرج اللاجئة الفلسطينية سناء أبو عون (52 عاماً) صباحاً من بيتها في مخيم اليرموك، حاملة معها بطاريات الشحن الكهربائية، لتذهب إلى بيت أحد معارفها ممن يقطنون الأحياء الدمشقية، لتشحن البطاريات في ظل انخفاض قوة التيار الكهربائي الذي يصل إلى أحياء المخيم.

أقربائي، ونأمل أن لا يصدر مثل هذا القرار».

رحلة جلب المياه

تعمل الجهات الحكومية السورية، على استصلاح بعض شبكات المياه والصرف الصحي، في المناطق التي عاد إليها الأهالي ضمن مخيم اليرموك، في ظل نقص كبير في المواد الأساسية وغياب الدعم، الأمر الذي يبطئ من عملية الاستصلاح ويزيد من معاناة الأهالي.

وسناء وعائلتها وبقية العائلات، عانوا في بداية عودتهم إلى المخيم من عدم توفر المياه، بسبب تضرر شبكة المياه، فقد كانوا يذهبون إلى مدخل المخيم، لتعبئة المياه، تقول سناء لـ «الأخبار» عن تجربة أسرتها: «كان زوجي يخرج إلى أول المخيّم عند الحاجز لتعبئة المياه، تحسّن الوضع منذ عام بعدما أوصلوا إلى منطقتنا مياه الفيجة، فأصبحت المياه متوفّرة لدينا، ولم نعد مضطرين للخروج إلى بداية المخيم للحصول عليها».

كهرباء بلا فائدة

باتت مشكلة الكهرباء في معظم مناطق سوريا معروفة، سواء من عدم توفرها لأوقات طويلة، أو من التقنين الجائر لها، لكن لمخيم اليرموك قصة مختلفة نسبياً، فإضافة إلى التقنين، وقلة وجود الكهرباء، يعاني أهالي اليرموك من ضعف قوة الكهرباء نظراً إلى عدم وجود محطات تحويل ترفع جهدها، لذا في أحسن أحوالها تصل قوتها ما بين 50 - 60 فولت، تشرح سناء جوانب تقنية، لتوضح مشكلة الكهرباء أكثر: «وضع زوجي منظّمين كهربائيين، قدرتاهما معاً تصلان إلى ما يقارب عشرين ألف شمعة، الهدف منهما رفع قوة الكهرباء، لكنها مع ذلك، لم تصل إلا إلى نحو 100 - 110 فولت، نستفيد منها في شحن الهواتف المحمولة وتشغيل بعض الليدات فقط، هذا بعيداً عن الأسابيع التي تهجرنا فيها الكهرباء الضعيفة نهائياً بسبب الأعطال، حسب ما يخبروننا».

توضح سناء أنها وأفراد عائلتها نالوا من القهر ما نالوه، لذا تقول: «لم نعد نشعر بأننا نعيش من دون كهرباء، تعايشنا مع هذا الوضع وعندما نضطر إليها، نذهب نحو مدخل المخيم، حيث تتوفر الكهرباء بقوة 220 فولت، لشحن بطاريات الهواتف والإضاءة» وتضيف سناء وعلى وجهها ابتسامة تخفي حسرة كبيرة على ما آل إليه المخيم: «تاقلمنا مع الوضع، فالهم وجود الماء».

لا تنتهي حكاية الكهرباء عند حد، فكل شيء مرتبط بها في عالمنا اليوم، تصف سناء تفاصيل من حياتها: «نغسل ملابسنا بأيدينا، حتى مع وجود الغسالة، لكوننا لا نستخدمها، بسبب عدم توفر الكهرباء لتشغيلها». وفي ظل هذه الظروف تلجأ بعض نساء المخيم إلى غسيل الملابس خارج المخيم عند بعض الأقرباء، في الأوقات التي تتوفر فيها الكهرباء لديهم، ولكن هذا الأمر ليس ممكناً دائماً، فهناك ظروف أخرى يومية: «ولديّ موظف في مديرية النقل، ويحتاج أن يرتدي ملابس نظيفة ومكوية، ومع غياب الكهرباء، تضطر زوجته إلى نشر ملابسه وهي مبتلّة بلا عصر، بعد غسلها بيديها، فتكتفي بنفضها من المياه خوفاً من تجعّدها، وتنتظرها حتى تجف لتقوم بتمليسها بيدها وطبها ووضعها تحت الفراش كي تبدو مكويّة».

الإسعاف في المخيم محصور بالدوام الرسمي

عندما تحلّ الساعة الثانية بعد الظهر، تغيب عن المخيم الخدمات الطبية الموجودة «على قلتها»، كذلك في أيام العطل.

تنحصر تلك الخدمات بالمستوصفات التي استصلحتها بعض الجهات والتنظيمات الفلسطينية، إضافة إلى الأونروا والهلال الأحمر الفلسطيني. يفتقد المخيم بعد الساعة الثانية، أي وسيلة إسعاف للحالات الطارئة، فيضطر أهالي اليرموك، إلى نقل تلك الحالات إلى مدخل المخيم سيراً على الأقدام ليستقلوا سيارة توصلهم إلى أحد مشافي دمشق.

وتكثر الحالات التي تحتاج إلى إسعافات طارئة، فشبح الموت لم يغب عن المخيم بعد توقف المعارك، بسبب عدم توقف الانهيارات في بعض الأبنية، أو وقوع الركام على المارة في الطريق، أو سقوطهم في بعض الحفر، وغيرها من الحوادث، فأبو عون فقدت في رمضان الماضي وتحديداً في ليلة القدر، ابنها الأوسط الذي توفي في أحد أزقة المخيم جراء صعقة كهربائية «كان ابني علاء (27 عاماً) يساعد جميع الأهالي العائدين، بتوصيل الكهرباء الضعيفة إلى بيوتهم، كان محباً للناس ويفرح بعودتهم، فيقدم لهم ما يستطيع من مساعدة كما يشارك في حملات توزيع الطعام على أهالي المخيم». تكمل سناء بمرارة

> سيبقى المخيم بوصلتنا إلى فلسطين رغم كل هذا الدمار، عندما دخلنا إلى المخيم للمرة الأولى، شعرنا أن حجارته تناديني

ودموع: «يومها، أخبر الأهالي علاء، أن خط الكهرباء المغذي للمنطقة فيه عطل، وكعادته، بشهامته العالية تجاه أبناء مخيمه خرج إلى منطقة شارع الثلاثين، حيث الكبل الرئيسي المغذي، ولم يخبرني بأنه ذاهب إلى هناك، بعد ساعات على غيابه، ذهبنا للبحث عنه، فوجدناه ملقى في شارع الثلاثين، بعد أن صعقته الكهرباء».

لصوص ينتشرون في المخيم

يُجمع الأهالي داخل المخيم على أن استمرار عمليات السرقة، يُفشل أي محاولة لإعادة الاستصلاح والإعمار في المخيم، ويقف عقبة في وجه العائدين، ويؤكدون أنه على الرغم من كل الألم والمعاناة الذين يعيشهما المخيم وسكانه، لا تزال أعين اللصوص القادمين من خارجه، تتربّص ببيوته وركامه، فهم يبحثون عما يمكن سلبه بعد من المخيم، فلا يستطيع الأهالي إغفال عيونهم عن بيوتهم، حيث سُجّلت العديد من الحوادث التي يدخل بها اللصوص إلى البيوت المرمّمة، أو التي يعمل أصحابها على ترميمها بشقّ الأنفس، في ظل التردي الاقتصادي الذي تعيشه البلاد، فيسرقون من أصحاب تلك البيوت، حلم وأمل العودة إلى المخيم.

هذا على صعيد الأحياء، أما الأموات، فنُبشت قبورهم في مقبرتي اليرموك، خلال السنوات الماضية، ودمرت بعضها المعارك، وأجهز تنظيم «داعش» على بقيتها، ليأتي اليوم، لصوص لإكمال طمس آثار اللاجئين في هذه البلاد، فانتهكوا حرمة القبور، وإلى يومنا هذا، يفككون بقايا الطوب والرخام لسرقته، تقول سناء: «حتى الزريعة التي زرعتها بجانب قبر ابني سرقوها ولم تسلم منهم، علماً أن زوجي يتردد كل يوم إلى قبر ولده». ركوب المواصلات في المخيم مهمة مستحيلة

خصّصت وكالة تشغيل وغوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) عدداً من الباصات لتوصيل الطلاب إلى مدارسهم خارج المخيم، إلى حين إعادة ترميم مدارسها ضمن المخيم، في حال غيّرت الدول المانحة موقفها الرافض لدعم أي مشروع إعادة إعمار وترميم داخل المخيم حتى إنجاز الحل السياسي في سوريا، تقول سناء: «حالياً يدور الحديث عن ترميم مدرسة أسد بن فرات الحكومية في شارع اليرموك بدعم من المجلس النروجي للاجئين وبالتعاون مع وزارة التربية، والأونروا لا نية لديها حالياً لترميم مدارسها ومراكزها، لكنها أعلنت أنها ستعمل على استئجار مدرسة أسد بن فرات في حال تم تجهيزها لتستقبل الطلاب الفلسطينيين فيها بعد الظهر».

وعن التنقل من وإلى المخيم، ووضع المواصلات تشرح «أضطر يومياً إلى حمل أكياس الخُضر وحاجاتنا التي أشتريها من الأسواق القريبة في منطقة الزاهرة، والسير بها على قدمي، نظراً إلى انعدام وجود وسائل نقل كافية ضمن اليرموك». المواصلات رحلة معاناة لأهالي اليرموك الساكنين فوق الدمار، يوجد حالياً «باص» وحيد قدّمته منظمة التحرير، يعمل على تخديم أهالي المخيم الذين يقترب عددهم من 10000 شخص، فيما بلغت موافقات السكن الممنوحة للعائلات الفلسطينية والسورية 5000 موافقة.

سعاتان فقط لالتقاط الإشارة

كما تغيب وتضعف إشارات ومعالم الحياة عن المخيم، تغيب إشارة الاتصالات والشبكات الخلوية، الأمر الذي يجعل المخيم بقعة معزولة عن العالم، إلا في بعض الحارات، عند مدخل المخيم التي تصلها إشارات هاربة من الأحياء المجاورة.

تستيقظ سناء يومياً قرابة الساعة الرابعة فجراً، لتخرج إلى شرفة منزلها وتضع هاتفها المحمول في أعلى زاوية منها، علّه يلتقط بعض الإشارات المتسلسلة إلى المخيم مع ساعات الفجر الأولى التي يكون فيها الضغط خفيفاً على أبراج الشبكة الخلوية القريبة من المخيم. خلال ساعتين، يبدأ هاتف سناء بالرنين معلناً وصول دفعة جديدة من الرسائل الإلكترونية التي حُجزت منذ فجر اليوم السابق في مخدمات شبكات التواصل الاجتماعي، بانتظار الحصول على إذن الولوج إلى أجهزة أهالي اليرموك، فتحاول أبو عون خلال الساعتين، أن ترد على ما أمكنها من الرسائل، وهي تقف على شرفتها حتى بزوغ الشمس.

المخيم خالٍ من أي قطعة خشبية

في ظل النقص الحاد الذي تعيشه البلاد، من مواد التدفئة، خاصة المازوت والغاز، سعى أهالي المخيم على مدى الأعوام الخمسة الماضية، إلى جمع بقايا الأخشاب والأشجار المتناثرة بين شوارع المخيم وركامه للاستفادة منها في التدفئة شتاء، وتسخين المياه، وحتى الطبخ. لكنّ سباقاً محموماً يجري بين الأهالي واللصوص الذين يستبيحون كل ما يمكنهم سرقته، تقول سناء: «مع بداية عودتنا، قمنا بتأمين مدفأة تعمل على الحطب، ولجأنا إلى الطبخ بإشعال نيران الحطب خارج المنزل، لكن اليوم لم يعد في المخيم أي قطعة من الخشب أو الحطب، لأن اللصوص لم يتوقفوا يوماً عن سرقته ونهبه، لا صيفاً ولا شتاء، لذا فنحن لا نعلم كيف سنتجاوز هذا الشتاء».

لجأ الأهالي في الشتاء الماضي إلى استخدام «البابور» الذي يعمل على مادة الكاز، نظراً إلى شح الأخشاب داخل المخيم، وارتفاع أسعار الحطب خارجه، تشرح سناء للأخبار «كنا نشتري الليتر الواحد من المادة التي يدّعون أنها كاز بسعر 5000 ليرة، وهو ليس ليتراً كاملاً، وهو عبارة عن مواد مطبقة، تشبه برائحتها الكاز، يُضاف إليها مادة التنر التي تولد دخنة كبيرة ومسرطنة، ناهيك عن أن كل طبخة تستهلك ليتراً كاملاً، في حين أن الاستحمام بمياه دافئة يستهلك قرابة الليترين أو ثلاثة، وعندما يتوفر بعض المازوت نلجأ إلى استخدامه، لتشغيل البابور بعد إضافة مادة التنر إليه».

ذكريات تلاحق العائدين

تقلب سناء نظرها بين حارات المخيم، والبيوت المدمّرة التي تعرفها وتعرف أصحابها، وتحاول تجنب المرور بالقرب من منزل أهلها في حارة الفدائية، عند مدخل مخيم اليرموك، حيث ولدت وعاشت، تهرب من الألم الذي يعتصر قلبها، وهي تتخيل والدتها تقف على النافذة تلوح لها ولأختها بيدها، كما كانت تفعل في الماضي عندما كانتا تذهبان إلى السوق، وتطلب منهما عدم التأخر.

ترتسم الضحكة مجدداً على وجهها، وهي تحاول وصف أجمل الأجواء التي عاشتها داخل المخيم، خاصة في أيام شهر رمضان، وتضيف: «المخيم كان مدينة لا ينقصها إلا الفندق، حيث يحتوي على المشافي والعيادات والأسواق التي تضاهي أشهر أسواق دمشق، وأملنا كبير بأن يعود مثلما كان».

تسترجع سناء ذكرياتها ضمن شارع لوبية الذي كان يُعتبر أحد أهم الأسواق في دمشق، بمحالّه الممتدة من بدايته حتى نهايته، إضافة إلى بسطات الباعة التي كانت تملأ جنباته، فكان هذا السوق شاهداً على العديد من قصص الحب بين أبناء اليرموك، تروي سناء لـ «الأخبار» لحظات الحب التي عاشتها مع الشاب الذي أصبح زوجها، «كان سوق شارع لوبية أشبه بمكان يلتقي فيه المحبون، ينتظرني حتى أصل إلى السوق برفقة قريباتي، فيلاحقني على طول الشارع لتبادل نظرات الحب الخجولة خلسة من الباعة والمارة الذين يكتظ بهم السوق، ويبقى يسير خلفي إلى أن أصل إلى منزلنا».

لا تنسى سناء أيضاً لحظات طفولتها الجميلة، حين كانت تعتلي أرجوحة مصنوعة من الخشب والحبال التي تُنصب في الأعياد ضمن ساحة الريحة بالمخيم، فتقول: «لا تزال الفرحة تملأ قلبي عندما أستحضر ذلك الشعور، وأنا أحلق عالياً على هذه الأرجوحة فترفعني نحو السماء، ثم تهوي بي، لتعود وتنطلق بي نحو السماء مجدداً». أما عن أكثر الأطعمة التي تفتقدها، فتخبرنا أبو عون عن «الكاتو تازا» موضحة أنها عبارة عن قطع من «الكيك» المزيّنة بالكريما البيضاء والزهرية، ويعرفها كل من سكن المخيم جيداً، كونها يستيقظون صباح كل يوم، على أصوات أطفال المخيم ينادون على بضاعتهم من «الكاتو التازا» بنغمة موحّدة يحفظها جيداً أهالي اليرموك.

تتنهّد سناء طويلاً وتنظر في اتجاه شارع اليرموك، وتقول: «سيبقى المخيم بوصلتنا إلى فلسطين رغم كل هذا الدمار، عندما دخلنا إلى المخيم للمرة الأولى، شعرنا بأن حجارته تناديني، فكان كل بيت ينادي صاحبه بعد أن غلبه الشوق إلى سكانيه على مدى سنوات، نالت فيها الحرب منه ما نالت، لكن وإلى يومنا هذا لا يزال المخيم ينادي أهله وأصحابه».

يعيش اليوم أهالي اليرموك العائدون، حياة أقرب إلى العصور الوسطى، مع غياب الكهرباء المفيدة والمواصلات الكافية والإنترنت، فبعد مغيب الشمس يهربون إلى منازلهم مبتعدين عن الظلام الذي يغطي حارات المخيم، وركام البيوت المدمّرة التي تروي تاريخ ما جرى، يحاولون تسيان مشاهد الدمار، بإغلاق أبواب بيوتهم علّها تقيهم من الألم الذي يقبع في الخارج، ويجلسون تحت ما تيسّر لهم من ضوء الليدات الخافتة، يتبادلون أحاديث الذكريات التي تحمل ضمنها حسرة كبيرة، يقضون ساعاتهم الثقيلة منتظرين بزوغ فجر يوم جديد، لاستئناف محاولاتهم في خلق الحياة.

ذاكرة

متحف مخيم جرمانا
جهد فردي وعتب على المعنيّين

نعيم إبراهيم

ما إن تدخل بيته حتى تشتم رائحة الأرض والإنسان الفلسطينيَّيْن، تتخطى الباب الرئيسي فتستقبلك أدوات ومجسّمات تالف بعضها، بما تسعفك الذاكرة حول أسمائها وأهميتها وأخرى لا بد أن تسأل عنها... هذه الكنوز الثمينة ترافقك من مدخل البيت صعوداً على الدرج إلى الطابق الثاني لتدخل إلى هذا المكان وتدهش من النظرة الأولى إلى مكوّناته العديدة...

إنه متحف التراث الفلسطيني الذي يقيمه اللاجئ الفلسطيني محمد علي فارس (66 عاماً) على نفقته الخاصة في بيته بمخيم جرمانا القريب من العاصمة السورية دمشق.

إرهاصات البداية

نجلس في ركن داخل المتحف، أسأل فارس عن بدايات اهتمامه بتراث بلده فلسطين، يقول: «بداياتي كانت من خلال الذاكرة الشفوية للأهل، الآباء والأجداد، أيضاً من كواشين الأراضي والبيوت التي احتفظوا بها منذ احتلال فلسطين، ومن الأواني الخفيفة كالطناجر والملاعق والصحون، تلك التي حملوها معهم أثناء خروجهم من فلسطين سنة 1948». ويضيف فارس لـ«الأخبار» أنه كان يسأل عن كل شيء، تقع عينه عليه، من المقتنيات القديمة التي تُسمى اليوم «أنتيكا»، لم يقتصر سؤاله على ما رآه في بيت أهله، إنما على كل شيء، شاهده في منازل الآخرين في المخيم، وعلم أن أصحابه حملوه معهم من فلسطين، ويوضح فارس أنه «مع تقادم الزمن وامتلاكي الوعي تباعاً، ازداد اهتمامي بهذا التراث، وكلنا نعلم أن العدو الصهيوني، بعد أن احتل الأرض، حاول احتلال التاريخ، لأنه يشكّل الحضارة، وكما هو معروف، تقاس قيمة الأمم والدول بحضارتها، الفلسطيني، "كريكيو" باص حيفا الذي كان يستخدمه الفلسطينيون سنة 1945 وكذلك مدفأة "الفوفو" كانت موجودة في قطار الحجاز»، وتوجد أيضاً أدوات فلاحة وزراعة، وأدوات المهن النسيجية والقشيات، وأدوات لصناعة الآلات الموسيقية، كآلة البرغول والمجوز والصنجات، ومذياع قديم، ربما كانت تستمع إليه قرية بأكملها، كذلك يحتوي المتحف أزياء فلسطينية تقليدية، وصندوق جهاز عروس فلسطينية، ومجلساً عربياً مع أدوات الضيافة كالمهباج والبرادة والفناجين وغيرها، ولديّ في المتحف أسلحة قديمة، كالسيوف والسكاكين والبنادق والمقاليع والنقيفة» لا يتوقف فارس عن سرد تفاصيل مقتنيات متحفه، ويكمل بأن لديه عدداً من الصور للمدن الفلسطينية بين عامي 1885 و1887، إضافة إلى بعض الصحف التي كانت تصدر في فلسطين، وكتب طُبعت هناك، وخريطة جغرافية لقرية الناعمة، قضاء صفد، التي ينتسب إليها فارس.

يعمل محمد علي فارس، على تأليف كتاب، يوثّق لتجربته في المتحف، والمقتنيات الموجودة، وقيمة الحفاظ على التراث المادي للشعب الفلسطيني، فغنى التجربة بالنسبة إليه، ليس بالمقتنيات التي يحتويها المكان فقط، بل بما تمثل من تمسك بفلسطين، الأرض، وما تمثله للإنسان الفلسطيني، من قيمة تبقى تراودني وتشغلني، من أين جلب فارس مقتنياته؟ وهل تلقّى دعماً ما؟ ربما انتبه إلى حيرتي، فقال: «كل ما اقتنيته، بجهد شخصي، ومن مالي الخاص، ولم أتلقَّ أي دعم مالي من أي شخص أو جهة. كنت أقوم بالشراء، من الأسواق القديمة، ومن بعض الأشخاص من أبناء شعبنا الفلسطيني الذين علموا بمشروعي، إضافة إلى أن بعض المقتنيات، تبرّع بها أشخاص، لصالح المتحف. ولا أزال أتواصل مع المتاحف الموجودة في فلسطين وسوريا والبلدان العربية والأجنبية، بهدف دعم هذا المتحف، وأنوّه هنا، إلى أن الكثير من المقتنيات والأدوات التراثية السورية، هي نفسها التي تُستخدم في فلسطين، الأمر الذي سهّل عليّ البحث والاقتناء».

تتعدّد مقتنيات المتحف، منها أوانٍ منزلية استخدمها الفلسطينيون في بيوتهم قبل أن تهجّرهم العصابات الصهيونية من بلادهم، ومن أوراق الملكية لتلك البيوت، وكانت تسمى تلك الأوراق بـ «كوشان» وهو عبارة عن ورقة الملكية الفردية للعقار، ويعدد فارس مقتنياته، كأنه يتحدث عن أقرب الأمور إليه: «في المتحف بعض فئات العملة الفلسطينية الورقية والمعدنية وعلى رأسها الجنيه الفلسطيني، و"كريكو" باص حيفا الذي كان يستخدمه الفلسطينيون سنة 1945 وكذلك مدفأة "الفوفو" كانت موجودة في قطار الحجاز»، وتوجد أيضاً أدوات فلاحة وزراعة، وأدوات المهن النسيجية والقشيات، وأدوات لصناعة الآلات الموسيقية، كآلة البرغول والمجوز والصنجات، ومذياع قديم، ربما كانت تستمع إليه قرية بأكملها، كذلك يحتوي المتحف أزياء فلسطينية تقليدية، وصندوق جهاز عروس فلسطينية، ومجلساً عربياً مع أدوات الضيافة كالمهباج والبرادة والفناجين وغيرها، ولديّ في المتحف أسلحة قديمة، كالسيوف والسكاكين والبنادق والمقاليع والنقيفة» لا يتوقف فارس عن سرد تفاصيل مقتنيات متحفه، ويكمل بأن لديه عدداً من الصور للمدن الفلسطينية بين عامي 1885 و1887، إضافة إلى بعض الصحف التي كانت تصدر في فلسطين، وكتب طُبعت هناك، وخريطة جغرافية لقرية الناعمة، قضاء صفد، التي ينتسب إليها فارس.

يعمل محمد علي فارس، على تأليف كتاب، يوثّق لتجربته في المتحف، والمقتنيات الموجودة، وقيمة الحفاظ على التراث المادي للشعب الفلسطيني، فغنى التجربة بالنسبة إليه، ليس بالمقتنيات التي يحتويها المكان فقط، بل بما تمثل من تمسك بفلسطين، الأرض، وما تمثله للإنسان الفلسطيني، من قيمة تبقى ماثلة أمام الأجيال المتعاقبة.

غياب الباحثين وحضور المسؤولين

صحيح أن محمد علي فارس، يعرف كل مقتنياته بدقّة، يعرفها بحكم علاقته معها، لأن لكل قطعة في المتحف، قصة خاصة يمكنه أن يرويها، لكن المتحف - البيت، لم يعد يتسع، وبدأ التكديس، فغابت بعض المقتنيات عن عين الزوار «المتحف بحاجة إلى مكان أوسع من بيتي، نظراً إلى تكدس الأدوات والمقتنيات، ولم أجد أي دعم من قبل المعنيين في الساحة الفلسطينية، خاصة من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، نظراً إلى موقفي الرافض لاتفاقيات أوسلو ونتائجها التي أدّت إلى تراجع مكانة القضية الفلسطينية عربياً ودولياً». ومع ذلك، فإن للمتحف رواده وزواره، يقول فارس «إن اللاجئين الفلسطينيين يتجاوبون بإيجابية، لا بأس بها، بعضهم يأتون لزيارة المتحف مع أولادهم، لتعريفهم بالقضية الفلسطينية، وكذلك بعض المدارس ورياض الأطفال في مخيم جرمانا، كما أن بعض اللاجئين من المخيمات الأخرى في سوريا، وبعض المواطنين السوريين أيضاً، يأتون لزيارة المتحف، والتعرف إلى مقتنياته، وخلال كل زيارة، أجيب عن أسئلة كثيرة حول المقتنيات والتراث الفلسطيني».

تزور المتحف أيضاً، جهات وشخصيات رسمية، كبعض المسؤولين السوريين والعرب، وقيادات فلسطينية من داخل وخارج فلسطين، كذلك جهات فلسطينية وعربية مهتمة بالمتاحف والمقتنيات التراثية، لكنّ لدى فارس عتباً على المثقفين والكتّاب والباحثين المتخصّصين بالتراث «لم يقم أيّ منهم بزيارة المتحف والكتابة عنه في مقالاتهم وأبحاثهم ودراساتهم».

وصية ونداء

يوجه فارس نداءً إلى أولاده وأبناء شعبه، ويوصيهم بأن يحافظوا على هذا التراث العظيم، والتبرع بمقتنيات وأدوات متحفه إلى المتحف الفلسطيني الذي سيقام في القدس، بعد تحرير فلسطين، كل فلسطين، ويدعو الفلسطينيين إلى تحقيق الوحدة الوطنية، وإنهاء الانشقاق، وإعادة تعريف الوطن من جديد كما عرفناه سنة 1964 عن طريق الميثاق الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية، ويوصي أيضاً بـ «توحيد المقاومة وأدواتها ضمن غرفة عمليات واحدة وتغليب الهدف الاستراتيجي على الهدف التكتيكي لكل فصيل وطرف في الساحة الفلسطينية».

خلال استضافته لـ«الأخبار» في بيته - متحفه، وشرحه عن بداياته مع التراث الفلسطيني، ظلّت أسئلة

الأخبار
al-akhbar
السبت 8 تشرين الأول 2022 العدد 4747

صورة وخبر

على شاطئ البحر الأحمر، تنمو آلاف أشجار المانغروف المزروعة حديثاً في إطار برنامج تسعى من خلاله مصر إلى إنقاذ النظام البيئي والحفاظ على تنوّعه بهدف التصدّي للتغيّر المناخي وتأثيراته. يشرح خبير الزراعة، سيد خليفة، لوكالة «فرانس برس» أنّه «نظام بيئيّ متكامل، عندما يزرع المانغروف ستكون هناك كائنات بحرية وستأتي قشريات وسيكون هناك طيور». منذ عام 2017، يدير خليفة هذا المشروع لإعادة زراعة المانغروف على ضفتي البحر الأحمر في مصر، تلك الواقعة في سيناء والأخرى في صحراء مصر الشرقية داخل القارة الأفريقية. تمتصّ هذه الأشجار خمسة أضعاف كمية الكربون التي تمتصّها الغابات على اليابسة وتنقّي المياه الملوّثة وتحمي من حرارة الشمس الحارقة، كما أنّها تشكّل جداراً دفاعياً طبيعياً في مواجهة ارتفاع مستوى سطح البحر. وهي تقوم بكل هذه الأدوار رغم أنّ كلفة حمايتها والحفاظ عليها أقلّ بما لا يقارن بكلفة بناء سور لصدّ الأمواج. وعلى الرغم من ميزاتها النسبية الكبيرة، اختفى ما نسبته 35 في المئة على الأقل منها في العالم خلال الفترة الممتدة بين عامَي 1980 و1990. بل إنّ 80 في المئة من هذه الأشجار اختفت في بعض المناطق، مثل المحيط الهندي، حيث كانت تشكّل مصدراً طبيعياً ضدّ أي تسونامي مدمّر. (خالد دسوقي ــ أف ب)

المفكرة

خضر شرّي مأخوذاً بالموج

■ تدعو «غاليري آرت ديستريكت» في «بيت الصورة» (الجميزة)، يوم الخميس المقبل إلى حضور افتتاح المعرض الفوتوغرافي «الحركة والسكون» لخضر شرّي. جرى تطوير محتوى هذا الحدث لتأطير تجارب خضر الخاصة، بالإضافة إلى تجارب غوّاص متمرّس. بعد ممارسة رياضة الغوص لمئات المرّات في جميع أنحاء العالم، أدرك شرّي أنّ أنماط الجوانب السفلية للأمواج وأشكالها وألوانها تتمتّع بعناصر تأسر انتباهه. يستمرّ المعرض لغاية 12 تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل.

افتتاح معرض «الحركة والسكون»: الخميس 13 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي. الساعة السادسة مساءً. «غاليري آرت ديستريكت» (بيت الصورة ـ الجميزة/ بيروت). للاستعلام:81/680069

«توك توك» من باريس إلى لبنان

■ «توك توك» هو عنوان المسرحية التي يحتضنها «مسرح مونو» (الأشرفية) اعتباراً من 26 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي لغاية 13 تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل. العمل المستند إلى النصّ الشهير الذي يحمل توقيع الكاتب الفرنسي لوران بافي، من إخراج أنطوان الأشقر، وتشاركت ترجمته إلى العربية ريمي موصللي وماري ـ تيريز عيراني، اللتان تضمّهما قائمة الممثلين إلى جانب ماريا الدويهي وطوني فرح وباتريك شمالي وكاثي يونس ومنير شليطا.

دكتور «ستيرن» اختصاصي ذائع الصيت عالمياً في اضطرابات الوسواس القهري أو نادراً ما يقدّم استشارات في فرنسا. المرضى الستة الذين يتحدّثون في غرفة الانتظار الخاصة به، ينتظرون هذه الفرصة منذ أشهر، لكن المعالج البارز تأخّر، ولا يزال عالقاً في فرانكفورت. هكذا، ينتظرونه

معاً، ويلعبون الـ«مونوبولي» للتخفيف من الملل، فيتعرّفون إلى بعضهم البعض وحتى يجربون علاجاً جماعياً.

مسرحية «توك توك»: من الأربعاء 26 تشرين الأوّل لغاية الأحد 13 تشرين الثاني. الساعة الثامنة والنصف مساءً. «مسرح مونو» (الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 70/626200

سهرة «أكوستيك» مع ماريا دودنيك

■ تتكرّر الأسماء التي تحيي الأمسيات الموسيقية الحيّة في بيروت هذه الأيام. في «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» (الأشرفية)، يطلّ علينا اسمٌ من خارج هذا التكرار، هو ماريا دودنيك، التي تحيي حفلة في 14 تشرين الأول (أكتوبر) الحالي. إنّها مغنية وعازفة بيانو أوكرانية، تؤدّي ريبيرتواراً يجمع كلاسيكيات شعبية وفولكلورية وأغاني خاصّة تصنعها بنفسها. تؤدّي الفنانة الشابة البرنامج منفردةً، إذ تتولّى مرافقة نفسها على البيانو، وتقدّم مجموعة من الأنغام الفولكلورية الأوكرانية وبعض أغاني البوب، بالإضافة إلى تلك التي تحمل توقيعها نصاً وموسيقى.

حفلة ماريا دودنيك: الجمعة 14 تشرين الأوّل 2022. الساعة السابعة والنصف مساءً. «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» (السيوفي ـ الأشرفية/ بيروت). للاستعلام: 01/398986

أيمن جرجور... غيتار في الـ«ألبا»

■ بعد الاستراحة الصيفية، تستعيد «الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة» (ألبا) نشاطها الموسيقي التثقيفي من خلال أمسية تقام في 18 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي في حرمها في سن الفيل، يحييها عازف الغيتار الكلاسيكي اللبناني أيمن جرجور (الصورة). هذا النوع من الريسيتالات المنفردة للغيتار رائجٌ جداً، بعد البيانو، الذي يحتلّ المرتبة الأولى في الظهور المنفرد أمام الجمهور. لكن في حالة الغيتار، البرنامج يكون غالباً مشتركاً في جزءٍ منه على الأقل، على قاعدة أنّ بعض الروائع التي كتبت لهذه الآلة يتمّ إدراجها بشكل شبه ثابت، نظراً إلى انتشارها وجمالها وأحياناً إلى قدرتها على إظهار مهارات العازف التقنية أو التعبيرية. هذه الكلاسيكيات ـ التراثية أو لكبار المؤلفين (ألبينيز، دي فايّا...) ـ الآتية من إسبانيا (بشكل أساسي) بالإضافة إلى الريبيرتوار الأميركي اللاتيني وحتى بعض الأعمال من منطقتنا، وكذلك حصّة لمقطوعات من العصر الحديث، تشكّل البرنامج المنوّع الذي سنسمعه من جرجور في هذه الأمسية.

أيمن جرجور في ريسيتال غيتار كلاسيكي: الثلاثاء 18 تشرين الأول 2022. الساعة السابعة مساءً. قاعة سمير أبي اللمع في حرم «الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة» (سن الفيل). الدعوة عامة.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ666314 /01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 8 تشرين الأول
العدد 4747 السنة السابعة عشرة
Samedi 8 Octobre 2022 nº 4747 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

فيدريكو سولمي ــ «القائد الاكبر بينيتو موسوليني» (2015)

موسوليني يطلّ برأسه

سعيد محمّد

لعل أكثر اسم تردّد في التقارير الإخبارية عن الانتخابات الإيطالية الأخيرة هو الزعيم الفاشيستي بينيتو أندريا موسوليني (1883 – 1945)، إلى جانب «النجمة» جورجيا ميلوني زعيمة حزب «إخوة إيطاليا»، المرشحة الآن لتولي منصب رئيس الوزراء هناك. استعادة مستحقة ربّما بالنظر إلى التموضع السياسي لـ «إخوة إيطاليا»، تجاه أقصى اليمين، وجذور لا يخفونها في إطار الحركة الفاشستية الجديدة التي حملت تراث «الدوتشي» وأبقته حيّاً بعد تغييبه الدراماتيكي على أيدي مقاومين شيوعيين عشيّة انطفاء الحرب العالميّة الثانية. والسؤال المطروح دائماً: هل إيطاليا تُعيد إنتاج عشرينيات القرن الماضي التي شهدت انكسار عالمها القديم من دون أن تقوى المملكة الغضّة وقتها على إنتاج جديدها؟ فكان أن انطلقت في الظلام الفاصل بين الموت والولادة المتعثرة وحوش وتنانين القمصان السود الفاشيست، على حد تعبير أنطونيو غرامشي، المفكر الإيطالي الشيوعيّ الذي عاش تلك المرحلة وكان شاهداً عليها.

السياسيّون الغربيّون العارفون بأمور إيطاليا، يقولون بأنه لو أعاد التاريخ نفسه، فلن يكون سوى نسخة مهزلة مما مضى. فلا ميلوني هي موسوليني، ولا «الأخوة» هم القمصان السود، والنظام الليبرالي في الجمهوريّة المعاصرة صلب لا يُقارن بهزاله في عصر الملكيّة الآفلة. خبراء التاريخ منحازون إلى وجهة نظر ـ سبق إليها غرامشي ـ بأن الفاشيستيّة حركة اجتماعيّة تعبّر عن أشواق البرجوازيّة الرّثة في المجتمع الإيطاليّ، وأن حال التردي الاقتصادي والاجتماعيّ التي انتهت إليها الجمهوريّة على أيدي الحكومات الليبرالية المتعاقبة منذ التأسيس (1945) مقرونة بغياب بديل يساريّ يعتد به، تؤدي بالضرورة إلى مناخ من التخلخل الاجتماعي يمكن توظيفه لتولي متطرفين شعبويين السّلطة يحملون أجندات إقصائيّة ورجعيّة وعنصريّة.

هذا الجدل المحموم المتجدّد بسطوع نجم ميلوني، كان توقيتاً مثالياً للروائي الإيطالي أنطونيو سكوراتي لتزامنه مع صدور الترجمة الإنكليزية للجزء الأوّل من ثلاثيته M، أي الحرف الأوّل من اسم موسوليني. بعد النجاح الهائل للنسخة الإيطاليّة (2019) بالإفادة من أجواء بدايات صعود اليمين الفاشستي، ها هي النسخة الإنكليزيّة تحلّق على موجة الاهتمام الغربي لحظة وصول ذلك اليمين إلى السلطة، ناهيك بإتمام الاتفاق مع شبكة «سكاي» على تحويل الرواية إلى عمل سينمائي وتوسيع وصولها إلى جمهور لا يقرأ.

ثلاثية سكوراتي طريقة غير عادية للنظر في تاريخ الفاشيستية من خلال الاستماع لصوت موسوليني نفسه، كما أصوات بعض معاصريه، في إطار عمل خياليّ. لكنّ نقاداً اعتبروا العمل محاولة باتجاه إعادة تأهيل الدوتشي للقرن الحادي والعشرين، وتقديمه للأجيال على نحو يختلف عن صورة الوحش التي التصقت به. ويبدو أن الرواية لقيت بالفعل إقبالاً مضاعفاً من قبل الشبان تحديداً، وشكر كثيرون منهم المؤلف في رسائل بعثوها لأنه «جعل من تاريخ موسوليني أمراً مثيراً للاهتمام مقارنة بالطريقة الجافة التي يقدّم بها في المناهج الإيطاليّة». لكن سكوراتي يحاجج بأنه شخصيّاً معاد للأفكار الفاشيستيّة، وأن العمل في عمقه تفكيك لتلك الصورة الصنميّة عن الزعيم الإيطالي التي بنتها عقود من البروباغاندا المكثّفة حتى توارى موسوليني/ الإنسان وراء موسوليني/ الفكرة، ولم يعد بالإمكان قراءة ملامح شخصيته الحقيقيّة. والواقع أنه رغم جرائمه التي لا يعد ضحاياها في ليبيا وأثيوبيا واليونان وحتى في بلاده نفسها، ظلّ موسوليني عند كثير من الإيطاليين من دون إدانة يستحقها، ولم يجرؤ من أتى بعده من حكام إيطاليا على إجراء محاكمة عادلة له أو لعصره. لذلك كان منطقيّاً أن تجد ثلاثية سكوراتي كثيراً من الآذان الصاغية اليوم، وأن يصوّت نصف الإيطاليين لمصلحة سياسيين خرجوا من عباءته.

حوار

محمد الناجي: تشابكات الدين والسياسة والمرأة في المتن القرآني

كانت الفترة النبوية، في مفارقة لها ما يبرّرها، مثيرةً دوماً لاهتمام المؤرّخين أكثر من غيرها. وفي الآن نفسه موضعَ تهيُّبٍ وحذر باعتبارها فترة شائكة لامتزاج السياسي بالديني فيها، لكثرة الروايات، مذهبيّة وغير مذهبيّة، ووفرة التفاسير والسِّير. ولكنّ القليل من الدّارسين تجرّأ على تناول خلطة الدين والسياسة انطلاقاً من مصدر المسلمين الأهمّ، تشريعاً وعقيدةً: القرآن. كما تسنّى للنزر القليل جداً من المؤرّخين مساءلة وضع المرأة من خلال المتن القرآني مباشرة. هذا ما سعى إليه أستاذ العلوم الاقتصاديّة في كلّيّة العلوم القانونيّة والاقتصادية والاجتماعية، التّابعة لـ «جامعة محمد الخامس» في الرباط، المؤرخ وعالم الاجتماع المغربي محمد الناجي في كتابه الأبرز «الجسدُ المغلولُ: كيفَ يراقِبُ الإسلامُ المرأة» (دار ملتقى الطرق، الدار البيضاء) الذي ركّزنا عليه في حوارنا معه، من دون إغفال القيام بجولة على بعض أعماله (كلها صادر باللغة الفرنسية)، وكامل مشروعه السوسيولوجيّ والتاريخي والإبداعيّ للكشف عن موضوعاته ومناهجه وآليات تحليله

تقديم وحوار **رشيد وحتي**

■ في تكوينكَ الأساسيّ، أنت عالِمُ اقتصاد، لكنّك ألّفتَ دراسات وامتهنتَ مهنة عالِم الاجتماع في السنوات الأخيرة. صرتَ تؤلّفُ دراساتٍ في التّاريخ، تحديداً في التّاريخ العربي-الإسلاميّ، من خلال جِقبه الشائكة. فهل لنا أن نفسّرَ هذه المنعطفاتِ في مهنتكَ بالخيط الرّابط بينها، خيطِ علم الاجتماع؟

ـ سأبوح لك باعترافٍ: أنا لا أفكّرُ بشكلٍ واعٍ وإراديٍّ في ممارسة هذا العلم أو ذاك. فقد تحوّلت نحو دراسة التّاريخ بشكلٍ طبيعي تقريباً، ولْنَقُلْ: بشكلٍ فِطريٍّ. أمارس البحث داخل الحقل التاريخيّ؛ لكنّ التّاريخ – كما تعلم – هو أيضاً علمُ اجتماع، علمُ اقتصاد، بصحبة علوم إنسانيّةٍ أخرى في الآن نفسه. فالمؤرّخ يُنقّبُ لدى الآخرين، وفق حاجيّاته، عن أدوات وآليّات وطرائق تكون مثمرةً له، وإنّما من منظور تاريخيّ طويل الأمد. لكنّ الخيط الرّابط وأضحَ بجلاء: عندما كنتُ طالباً، ذهبتُ إلى منطقةٍ من الجنوب المغربيّ، مع معلّم عظيم، كان عالم اجتماع (بول باسكون 1932-1985) الذي يعتبره كثيرون الأبَ المؤسّسَ لعلم الاجتماع في المغرب) من أجل بحث وتحقيق سوسيو ـ اقتصاديّين ميدانيّين. عدت من رحلتي العلميّة بيديّ

> **القوائم البيبليوغرافيّة حول الإسلام والمرأة ـ ولنأخذ كمثال فاطمة المرنيسي ـ تركّز بشكل أساسي على دراسة الحديث النبوي**

خلال لعبةٍ لغوية على الألفاظ تعطي المعرفة والبحثُ العلميّ طابعاً أيروتيكياً، قال كلود ليفي-شتراوس إنّ حياته كانت متقاسَمة بين «ثلاثِ معلّمات/ خليلات عظيمات: الجيولوجيا، التّحليل النّفسيّ والماركسيّة». مَنْ هنّ معلّماتُ/ خليلات محمّد النّاجي العظيمات؟

ـ الماركسيّة، التّاريخ والجيولوجيا علومٌ مغريةٌ بشكلٍ من الأشكال، بما أنّنا لا نفعل أيّ شيءٍ آخر عدا الحفر والكشف عن الطّبقات القديمة التي لا تُرى بالعين المجرّدة؛ ولكنّ لي معلّمةً/ خليلةً ساطعةً في المصافِ الثّالث: القواميس!

■ في دراستكَ «الجسدُ المغلولُ: كيفَ يراقِبُ الإسلامُ المرأة» (انظر أدناه)، تقوم بتفسير سوسيو ـ تاريخيٍّ للمتن القرآنيّ، بجعلك إيّاه المتنَ الأساسيَّ للتّحليل، مع نقدك الحادّ للدّين بوجهٍ مكشوف؛ فأين تكمن فرادةُ وجدّة مقاربتك؟

ـ لم أفكّر في هذا الكتاب، عند البداية كمشروع؛ فمن خلال اشتغالي على المصادر الإسلاميّة، وبالأخصّ تفاسير القرآن، برزت لديّ بشكل مُلِحّ موضوعات مختلفة عن المرأة، في ما بعد، لاحظتُ أنّ القوائمَ البيبليوغرافيّة حول الإسلام والمرأة – ولنأخذ كمثال فاطمة المرنيسي – تركّزُ بشكلٍ أساسيّ على دراسة الحديث النّبوي، كما لو أنّهم لا يجرؤون على التصدّي للنصّ التأسيسي بعينه، بدا لي من المهمّ جداً أنْ أبيّنَ أنّ الأوامر القرآنيّة للنساء، وأنّ المكانة الدّونيّة الّتي يعطيها القرآن للنّساء باعتباره متناً «مُذكّراً» وفقَ ما يوضّحه ابن مسعود، لم يتم تلقّيها بفرح، وإنّما كانت موضعَ جدالات، وانتقادات وصلت حتّى إلى الاحتدام من طرف النّساء. فالحركة والنّزعة النّسويّة لم تولد أمس، وإنّما باكراً جداً مع فجرِ الإسلام بالذّات.

■ كتابكم الأخير «الأميرُ والرّسولُ: جَسَدًا النّبيِّ» (2021) امتدادٌ لنفس مقاربة سابقه، فيما خلا أنّكم تركّزون اهتمامكم على الملك وحاشيته، على ما يسمّيه الأخباريون العرب والمسلمون «مجتمع الرّسول»، مع تركيز أشدّ على شخصيّته المركزيّة ذات الوجهين: محمّد كسلطة دينيّة وسياسيّة: فهل لكم أن تقدّموا للقارئ الخطوط العريضة لمقاربتهم ولآليات تحليلكم؟

ـ حاولتُ أنْ أبيّنَ أنّ القطيعة لم تكن مع الأمويّين، أن نظامَ المُلك لم يبدأ مع هذه الأسرة المالكة، فالدّيانة الإسلاميّة أسّست العلاقة مع ما هو إلهيٌّ على العبوديّة، أي أنّها أعادت إنتاج – ولكن بطريقة مطلقة – علاقة الملك بالرّعيّ من داخل علاقة الله بالمؤمنين على قاعدة العبوديّة. وبالتّالي فالأسس السّياسيّة للدّولة أُرسِيَتْ منذ بزوغ الإسلام

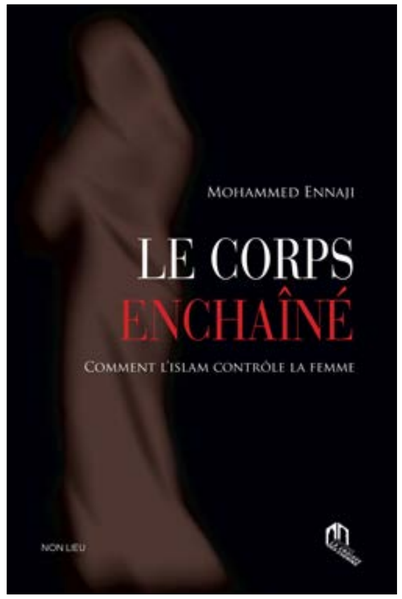

محمد الناجي: الحركة النسوية ليست وليدة الأمس، بل بدأت باكرا مع فجر الإسلام

مع المتن القرآنيّ. في «جَسَدَا النّبيِّ»، ما نقوم بتحليله هو شخص النّبيّ وتمظهرات الوحي، لتبيان أنّ الملك لم يكن ينتظر معاوية ابن أبي سفيان ليتأسّس عن طريقه نظام المُلك، بل كان معشّشاً في المقدّس عند ولادته.

■ منذ مدّة وجيزة توفيت الملكة إليزابيث، عاهلة ورمز سيادة المملكة المتحدة وكبيرة كهنة كنيسة إنكلترا.. قبل ذلك بقليل، حاول شابٌّ تطبيق فتوى الخميني على سلمان رشدي. من وجهة نظرك، هل عرف تواشج اللاهوت والسياسة، في الحقبة الحديثة، تغيراً ما أو ما زال يحتفظ بالجوهر نفسه؟

من الأكيد أنّ وطأة الدّينيّ، في المجتمعات، بدأت تخِفّ؛ وفي الممارسات الاجتماعيّة، بدأ النّاس يبتعدون، شيئاً فشيئاً، عن التّعاليم الإسلاميّة؛ وهو أمر طبيعيّ، فالمجتمعات تتغيّر بسرعة شديدة أحياناً، ولننظر إلى حالة المغرب. وبالتالي ثمّة تناقض يتقوّى بين تطوُّر المجتمع والخطاب الإسلاميّ الذي يتصلّبُ كما لو أنّ المقاومة كامنةٌ فيه بحيث لا يجدُ له حلولاً إلّا في النّزوع نحو التّصلّب. زمن الفتاوى العنيفة لم يأفل بعد.

■ «الشّعر (تأخذ الكلمةُ، في السّياق الأرسطي، معنى أرحب) أمرٌ أكثرُ فلسفيّةً ورِفعةً من التّاريخ. الشّعر يتحدّث عن عموميّات، والتّاريخ عن تفاصيلَ خاصّة» (أرسطو: كتاب «الشّعريّة»). كتبتَ أيضاً نصوصاً سرديّة، فبعدَ دراسة وجيزة عن زيد بن حارثة (ضمن كتاب «اقتحاماتٌ دنيويّةٌ»)، يبدو أنّكم طورتموها في قالب روائيٍّ لتصير بعنوان: «ابنُ النّبيِّ» (صدرت ترجمتها العربيّة عن منشورات الجمل. 2017). فهل هي إرادة صنع عمل تخييلي من خلال مادّة تاريخيّة أم هي فقط غوايةٌ ضمن موجة «عصر الرّواية»؟

أبداً، هي إرادة بناء نقد تاريخيّ، إعادةُ قراءة وقائع، بفضل التّخييل لسببين: السّرد التّخييلي سهل الذّيوع والانتشار أكثر من الدراسة (التّاريخيّة)، وكانت تنقصني المادة التّاريخيّة لكتابة دراسة تتطلّب وقتاً أكثر. وقد وضعت الرّواية رهنَ إشارة القرّاء وتمّت ترجمتها إلى العربيّة، لكن تمّ استقبالها بصمت مرعب، ربّما لأنها تنطق بالمكتوم حتّى لدى كتاب عرب حديثين كالجابري أو غيره. تقول الرّواية ما كان يقوله معاصرو النّبيّ، ولكنّ التّفاسير أعادت النّظر في قصة زيد وصوّبتها، وبالتّالي تمّ إغلاق أي سبيل نحو مُساءلتها.

■ تُؤلّفون، في تحاليلكم، أهمّية قصوى للدينامّية السوسيو ـ تاريخيّة للمعجمَيْن الدينيّ والسّياسيّ. هل يرى محمد النّاجي نفسَه فقيهَ لغة (فيلولوجياً)؟

ـ لستُ أبداً فقيه لغة، ولكنّ اللّجوءَ إلى اللّغة فرض نفسه كمصدر تاريخيّ وتحليليّ جوهريّ عندما تصابّ المصادر الكلاسيكيّة بالخَرَس. خلال إعدادي كتاب «العبدُ والمملوك»، تنبّهتُ لأهمّية المعجم. فقد تمّ لومي بالاشتغال على العبوديّة، من دونَ تحليل دورها السّياسيّ في العالم الإسلاميّ. وبما أنّي لستُ عالِم سياسة، لم أتناول المسألة انطلاقاً من مصادر كلاسيكيّة. وإنّما قمتُ بأمر قد يبدو غريباً، لكن تبيّن أنه مثمر. فقد تناولت قاموس «لسان العرب» لابن منظور، وقرأته من بدايته حتّى نهايته وأنا أدوّنُ ملحوظاتٍ منه في شكل جذاذات. وبفضل هذا «الاقتحام» لكتاب لغويّ، عثرتُ على مفاتيح مَداخلي، التي فتحت لي مسارات في موضوع «العبوديّة والسُّلطة». وبحقّ تم تصميم الكتاب وإعطاؤه هيكلاً عاماً من خلال هذه المفاتيح التي كانت أيضاً مفاتيحَ لقراءة التّفاسير القرآنيّة وكتب التّاريخ والأدب. مُذّاك، صارت القواميس العربيّة رفيقاً يفتحُ سُبُل التّفكير. وإليك المثال التّالي: اشتغلتُ في الأرشيف على كلمة «مُحِبّ»، التي كان يستعملها السّلاطين في مراسلاتهم. وكانت تُترجَم، في البداية بمرادفات لكلمة «صديق»، لاكتشف في ما بعد في القاموس أنّ «المُحِبّ» تعني أيضاً البعيرَ المُشرِف على الموت من شدّة المرض فيَبْرُك، ولا يقدر أن يَنْبَعِث، بعبارة أخرى: هو الخادم المهيمَن عليه، الرّاكع أمام السّيّد، كان هذا المعنى كفيلاً بتغيير مقاربتي للرسائل السُّلطانيّة وللعلاقة التي قصد السّلاطينُ فرضَها.

■ هل من جديد ضمن مشاريعك القريبة الصُّدور؟

نعم، ودائماً في الحقل الدّيني، وتحديداً حول المتن القرآنيّ، جمع مصاحفه المختلفة، ولكن طبعاً من زاوية نظر نقديّة.

أبرز أعماله

1985: فلّاحون بدون أرض (دراسة سوسيولوجيّة).
1989: المخزن وسوس الأقصى: المراسلات السّياسيّة لبيت إيليغ (بالاشتراك مع بول باسكون، دراسة سوسيو-سياسيّة).
1994: جنود، خدم وسراري: العبوديّة في مغرب القرن 19 (دراسة سوسيو ـ تاريخيّة)، قدّم إرنست كلنر للطبعة الأميركيّة.
1996: التوسّع الأوروبي والتغيّر الاجتماعي في المغرب بين القرنين 16 و18 (دراسة سوسيو-تاريخيّة).
2005: صداقة الأمير (دراسات في الإناسة).
2007: العبد والمملوك: العبوديّة والدين في العالم الإسلاميّ. قدّم ريجيس دوبري للطّبعة الفرنسية، ويُول لوفجوي للطّبعة الإنكليزيّة.
2010: شظايا أصوات (مقالات في السّياسة والمجتمع)؛ اقتحامات دنيويّة (مقالات في تداخل السّياسة والدّين).
2013: المغرب في حراك (يوميّات)؛ أسماء الله الحسنى (نثر فنّيّ مرافق للوحات وتخطيطات الحسين الميلودي).
2014: ابن النّبيّ (رواية تاريخيّة)؛ متوالية العطور (نثر فنّيّ).
2015: صفحتي على فيسبوك: بحث هويّاتي (يوميّات).
2016: مسلّة الخليفة (رواية).
2018: الجسد المغلول: كيف يراقب الإسلام المرأة (دراسة سوسيو ـ تاريخيّة).
2020: سرّ الحرف (رواية سيريّة).
2021: الأمير والرّسول: جسدا النبي (دراسة سوسيو ـ تاريخيّة).

■■■

الجسد المغلول: كيف يراقب الإسلام المرأة (*)

(مقتطف من الكتاب)

ترجمة **رشيد وحتي**

1. الجسد المشيطن

يتمّ تعيين الفراش في اللّغة العربيّة بكلمة: السّرير، وهو في الآن نفسه – يا للغرابة! – الدّيوان [الأريكة] الّذي يتربّع فوقه السّلطان، ما يؤكّد على وظيفته المزدوجة كفضاء للمتعة والسّلطة، بترميزه إلى العلاقة الوثيقة بين الاثنين. فهو يحوي في ذاته سرّ المداعبات التي يستقبلها ويتماها معها من خلال اسم ينتمي للأسرة الاشتقاقيّة نفسها: السّرّ؛ الّذي يسمّي، في الحقيقة، الفعل الجنسيّ، إذ يلزمه سرير كأداة، ولكن لأنّه أيضاً مخبأ: أي إن شئنا البحث عن مرادف، في السرّ. فلعالم المضجع، بالتّأكيد، الكثير ممّا يمكن أن يبوح لنا به، ممّا يمكن أن يفشيه من أسرار. فالسريّة، في قرابة اشتقاقيّة ودلاليّة مع السرّ، هي المرأة الحرّة – سواء كانت زوجة أو فاجرة – التي تتمّ مواقعتها. الجوهريّ في التسميّة، هنا، هو حجاب الحشمة، وفق التّشدد الموجب للحالة. فالمواقعة تتمّ في الغالب الأعمّ ليلاً، وبذلك تحيل الكلمة، عن طريق إحدى مشتقّاتها، السّرار، على الليلة الأخيرة من الشّهر، حيث يستسرّ فيها القمر.

ولكنّ الأمور لا تقف عند هذا الحدّ، فالسّرير يفيض أسراراً بتنوّع المشاهد التي تقع فيه، كما بتعدّد الفاعلين الّذين يقومون بأدوارها. فمقابل الزّوجة، السريّة، هناك السريّة، التي لا تعدو عن كونها محضيّة؛ وقد اشتقّ اسمها من السّرور، الّذي توفّره لعاشقها. فهنا يباح الرّفث، بصوت عال، مع الشّريكة الملائمة للاعبات الهوى. ورغم الجناس اللّفظيّ (سريّة/سرّيّة)، فإنّ مسألة الاختلاف تطرح على مستوى آخر، حيث لجسد الأنثيين العنيّتين وظيفتان تختلفان جذريّاً: الإنجاب والمتعة، قطبا ثنائيّة الجسد الأنثويّ. فجسد اللّذّة، رغم أنّه يحويه، غريب عن الزّوجة، عن الحرّة، التي تجد نفسها، بالتّدريج بعيدة عن هذه اللّذّة، إلى أن تزاح جانباً بشكل نهائيّ. وبإبعادها عن فضاء اللّذّة، فإنّها رغم ذلك تجد نفسها في مواجهته بلا انقطاع، إذ تعكسه كمرآة ضرائرها، والمحظيّات، دون الحديث عن الحوريّات.

يبدو أنّ الكلمات من نفس الأسرة الاشتقاقيّة للسرير، والتي توزّع الملكات النّسائيّة، تبنين أيضاً الجسد وتحدّدان معالمه. فالسّرّة تعني الرّوضة وخير ثمارها وأفضلها، وهي أيضاً التجويفة في وسط البطن. فإذا تمثّلنا الجسد الأنثويّ كجامع للزوجات الحرائر والمحظيّات، كوحدة كاملة، فإنّ السرية، محظيّة السّرير، ستشكّل قطباً مركزيّاً مع هذه الإحالة على السّرّة، التي تمثّل بداية إفصاح عن الأعضاء التّناسليّة وتشكّل، من جهة أخرى، واحدة من الحدود التي يتوجّب على الأمة إخفاؤها عن النّظر، إبقاؤها في السرّ، خصوصاً مع شعيرة الصّلاة. مركباً، متشظياً، لا وجود لهذا الجسد، كوحدة مجتمعة، إلّا بين يدي السّيّد، زوجاً وعشيقاً في الآن ذاته.

وصل الأجساد وهي مسرورة في فعل التعشّق، وهي تلوح أحياناً بصخب في ثنايا كلمات المتن القرآنيّ كما لو كانت تخلع مداخله، أبعد ما يكون عن زعم قرب المودّة العاشقة كما يتمّ تصويرها في الشّعر. المرأة، في جسدها، مبعدة كغريبة عنه إن لم يتمّ عزلها، جسدها ليس لها. وإذا سايرنا، من جهة أخرى، الحديث النبويّ، كناطق في غالب الأحيان باسم التمثّلات الاجتماعيّة، فقد يكون جسد المرأة حاملاً للعنة.

فصل من رواية

الصابرات (*)

دجايلي حمدو امله
ترجمة لينا بدر

«صبراً، مُنيال يا سَفيرة! تذكّري: يجب ألا يرتاب أحد بإحساسك. يجب ألا يتكهّن أحد بحزنك وسخطك وغضبك. لا تنسي. تمالكي نفسك! بدم بارد! الصبر!».

أبتلع دموعي، أرفع عينيّ نحو السماء كي أمنعها من الجريان. تستأنف عمتي الكلام: «كل هؤلاء النسوة سوف يعاينّك ويرمقنك بازدراء كي يباغتن يأسك أو كرهك له. دون استثناء أي واحدة منهن، إنهن ينتظرن اللحظة التي ستنهزمين فيها فقط. سيكون كل شيء رهن هذه اللحظة. يكفي أن تظهري غمّك كي يسخرن منك. يكفي أن تضعفي لحظة واحدة، ولسوف تتغلّب عليك للأبد. ليس هناك عدو للمرأة أسوأ من المرأة نفسها! لا تمنحيهن الفرصة أبداً كي يتحدثن عنك بالسوء. تمالكي نفسك، ابقي قوية ولا تضعفي».

أردفت إحدى صديقات أمي:

- صبراً! عند المحن، نوصيك بالصبر. ابقي قوية العزيمة بمواجهة المصيبة. لا أحد، لا أحد يا سَفيرة يجب أن يعرف أنك حزينة. الغيرة شعور مخزٍ. أنت امرأة نبيلة جداً، بحيث لا يمكن أن تشعري بها، أليس كذلك؟

اتّخذ زوجي امرأة جديدة.

«اغويه بسلوكك الكريم، بحضورك المحبب، بطبخك اللذيذ، أثبتي له أن ما من امرأة يمكن أن تتفوق عليك البتّة. فائدة تعدد الزوجات، هي أنها تسمح لك باختبار حبه وسلطتك عليه. أنت زوجته الأولى. كل الزوجات اللواتي سيأتين بعدك لن يصبحن بقيمتك أبداً. لن تستطيع أي واحدة منهن أن تعيش ما عشتِه. لن تستطيع أي واحدة منهن أن تمنحه أولاداً كما منحته أنت. أنت المفضلة وستظلين دائماً. أنت زوجته الأولى! دادا ساري! سوف تتقاسمينه مع الأخريات بالتأكيد. ولكن، هل سبق لرجل أن كان ملكاً لامرأة واحدة؟».

منذ دقائق قليلة، دخلت السيارات بزماميرها الصاخبة إلى حرم الدار الكبيرة تدوّي بضوضاء يصمّ الآذان، حيث كنا نسمع طبول ومزامير الشعراء المدّاحين، الذين كانوا ينشدون بحماسة محمومة مدائح للحاج عيسى وزوجته الجديدة. كانت تتردّد زغاريد النساء. تنبهي أقارب العروس لوصولها الميمون في هرج ومرج.

أبتلع دموعي، وأنهض متأهبة.

«إلى أين أنت ذاهبة يا سَفيرة؟ همست حليمة صديقتي الحميمة التي غلبها الغمّ مثلي

- إلى الحمّام.

- تمالكي نفسك. أعرف أن هذا ليس سهلاً، ولكن تحمّلي، اطمئني.

عكست المرآة وجهي الشاحب تحت التبرّج الباذخ. يحيط بعينيّ الكحل الغامق وخطوط التحديد وطلاء الرموش الأسود، شفاهي مرسومة بالأحمر الصارخ. مطرقة الرأس، استندت إلى المغسلة وحاولت للمرة الأخيرة أن أتمالك نفسي. يجب ألا أبكي، لأن العيون تفضح دائماً خيبات القلب، حتى المستور منها.

كنت قد ارتديت ثوباً جديداً أحضرته لي حليمة حديثاً من عند الخيّاط، ثوباً قرمزيّاً لامعاً من الحرير الناعم. ذكرى من رحلتي الأخيرة إلى دبي. مجوهراتي الذهبية تبرق تحت ضوء المصباح بيضاء، عيناها بلقاوان، وباطن يديها أبيض. رقيقة القدّ بخصرها كالدبّور! دقيقة العنق كالزرافة. صغيرة القدمين كذلك. ممتلئة الخدين والذراعين والردفين. رملة الجميلة، رملة التي لا تُضاهى...»

دقّت عمتي يديّ على الباب، وأخرجتني من أفكاري الكئيبة:

«سَفيرة، ماذا تفعلين؟»

- أنا قادمة!

- عائلة زوجك تنتظر كي ترافقك لاستقبال العروس.

ردّدت بصوت خافت:

- أنا قادمة.

- ماذا تفعلين يا سَفيرة؟

تسارعت أنفاسي ووجّهت إلى الله

كاسي نامودا ــ «المرأة الغارقة» (زيت على كتّان ــ 214 × 153 سنتم ــ 2022)

نص

عين وحيد القرن

البرشت دورر: وحيد القرن (حفر على خشب، 1515).

نوال العلي *

أحب عين وحيد القرن، عينه ليست غارقة في الألم مع أنه كبير وثقيل وهش وخائف... عينه فقط لم تعد تنظر إلى الخارج، إنها تنظر دائماً إلى تحت، إلى العشب والوحدة السمينة التي تمشي تحت جلده. أحب وحيد القرن بعد الكلاب، وبعده أحب الغزال، أحب الحيوانات التي تخاف من الماء والتي لا تخاف منه، أحب أن الحيوانات تظل حيوانات ولا أحب أنني لم أعد إنساناً ولم أتحول إلى وحش بعد. أحب عين وحيد القرن، لأنها تذكرني بعيني. تلك العين التي رسمها البرشت دورر كأنها اعتذار، لا أحد يحب وحيد القرن، وحرص الكل على إخباره بذلك، فحزنت العين وسقطت نظراتها إلى نقطة سحيقة، الحب فقط يجعل النظرة ترتفع، تطير مثل عصفور خفيف من محجر العين وتحلق، لكن لا أحد يحتاج إلى وحيد القرن. مرة أخذوه من بيئته في الهند وقالوا سنعرضه في لشبونة، وفي الطريق ظل 120 يوماً على السفينة غارقاً في الميلانكولي، ربما لأن السفينة ليست يابسة والقش الجاف الذي أطعموه إياه طيلة الوقت لم يكن زاداً. وصل الوحيد إلى البرتغال وقد حطمته الرحلة، وامتلأ جسده بالحنين وأصبح أكبر، وكأنه أصبح محشواً بالحنين والرحلة والـ120 يوماً والجوع والهند التي صارت بعيدة وأدرك أنه لن يعود إليها، كل هذه الآلام زادت وزنه، وتحلق البرتغاليون من حوله وأطلقوا عليه «الديناصور»، ثم قالوا سنأخذه إلى البابا هدية، وأخذوه على السفينة مرة أخرى وفي الطريق جاءت العاصفة وتحطمت الأشرعة أولاً وارتطمت مقدمة السفينة بالصخور وكان الوحيد مقيداً فيها، كان يحاول أن ينجو لكن الوحيد ضخم ومقيد ومخيف وخائف، وغرق الوحيد في البحر. الماء سحبه كأنه ريشه ورسمه والتر فورد خائفاً، تغير لون عينيه وهما تستسلمان للماء، هل كانت صدفة؟ العاصفة والماء؟ هل سمعت الريح نحيب الوحيد وجاءت أخيراً لتنتشله؟ صحيح أنه بقي أياماً ملقى على الشاطئ، لكن الطريق المؤلم انتهى. أخذوه وقطعوا رأسه وحشوه وسلخوا جلده التاريخي الجميل والكئيب. وظلت عينه مفتوحة ومعلقة بين الموت والحياة، لكنها واصلت إرسال النظر إلى العالم. كانت النظرة تذهب فارغة وتعود مثلما ذهبت، فارغة كأنها لم تر شيئاً. في فيلم ديفيد لينش «الرجل الفيل» مشهد كلما رأيته أبكي كثيراً ويذكرني. يصرخ الرجل والناس يتحلقون حوله في دائرة «أنا لست فيلاً أنا لست فيلاً، أنا إنسان».

* بيروت/ الأردن

النوافذ

عادل سليم *

النوافذ صنفان. صنف أصمّ، ويحجب وصنف، يستوي الحجب فيه، والنَظر. النوافذ في صباح رائق، غير النوافذ، في ليل مأطر. والنوافذ التي طوّحتْ بعاشقٍ مُذنف أرضاً، غير النوافذ التي ألقتْ بلصّ غانمٍ خارجاً.

النوافذ تفضّل استنطاقها. وتفضّل أكثر، استنطاق النُور، الذي تخلّلها. أسقط في أيدي الجَميع، تقول، فللنور لسان، ولقد أحاط بكلّ شيء .

النوافذ مكر إلى أقصاه.

النوافذ، حياة الخوف من خطر العراء وجرعة منه، إذ يطغى الحنين، فيها الشّفاء. النوافذ فصل وثراء، برزخ بين طائرين. قطائر، مداه الفضاء الفسيح، وطائر، قد أفسح للفضاء مداه فإنّ تراءى الفتى ضاحكاً، قلنا: اخترم الفضاء الطّائر الجميل.

النوافذ أغصان رؤوسنا المذلّاة من فوْهاتها، ثمار، ثمار، هي أيضاً، أكفّ العابرين. وتلك مزارع الإسمنت، أغفتْ على وحشة أنحائها . مَنْ يقطف مَنْ، في مزارع الإسمنت؟

* بغداد

عادل سليم ــ «وجوه من رحلة التعب العراقي» (باستيك زيتي على الورق، 2022).

قصيدة

إلى سارتر

خليك عاصي *

أسيرُ بسنّارتي في الوجودِ وحيداً؛
أنا متعبٌ مثل دربي، حزينٌ؛
معي تزحف الكائناتُ ببطءٍ
ولا بابَ يُفتحُ لي نحو ذاتي
إلا العدمْ
أقلّبُ دفترَ أحلامي الضائعات..
أمكثُ في برهةٍ أسدلُ الليلُ فيها
السؤالَ كثيفا
فلا هو يُفرخُ عمّا يُخبّئُ صبحي
ولا الصبحُ يُغريه أن يتقمّصَ
سيزيفَ بعدُ؟
أراني على بابِ ثقبِ الوجود
تُؤرجحني حيرتي..
أسافرُ في عدمين غريبين عني،
كأنّي مُكبّلةٌ بيَ أنايَ العجوزْ
ولمّا تزرْها التجاعيدُ لمّا تزلْ
كالصبايا
تُمسّدُ بَشْرتها بالعطورْ فهلّا
أوصُبُ
ما بعثرته السنون من العمرْ؟
ما قد تراكمَ من زبدٍ فوقَ أسطحِ
أفكاريَ الغابراتْ؟
ما يتسرّبُ من دهشتي وشتاتي؟ مِنَ
الذكرياتْ؟
أم أنّيَ أوشكُ ما سوف ياتي، فامشي
كأعمى..
يحاولُ أن يقتفي أثراً لم يحنْ بعدُ
ميلادُه؟
وهذا ويسحبُ من تحت أقدامي
الوقتْ..
ما ابيضّ من شَعر غرّتِه وأنا ما
برحتُ مكاني
على بابِ ثقبِ الوجودِ أفتّشُ عنّيَ
بينَ الأزقّةِ
بينَ الضجيجِ وبينَ الوجوهِ الكئيبةِ
والأقنعة
أنا يا صديقي - كما تدّعي -
وجودٌ.. نعمْ؟
ولكنّ، وجودٌ يكابدُ في معمَعه
فهل إنني مَن معي؟ أم أنيَ ذاك الذي
ساكون معه؟

* أكرا – غانا/ لبنان

هنري روسو ــ «الادغال الاستوائية» (زيت على قماش، 1909)

تاريخ

العائلة الملكيّة البريطانيّة تشرب «الشاي مع هتلر»

مصطفى شلش

قسّمت الحرب العالمية الثانية العائلة الملكية البريطانية إلى عائلة أنغلو-ألمانية. مع بزوغ فجر عام 1939، وجد الإخوة والأخوات وأبناء عمومتهم أنفسهم فجأة على طرفي نقيض. وكان هذا بسبب سياسة الملكة فيكتوريا، التي أرادت تأمين السلام في أوروبا من خلال شبكة من الزيجات الملكية. وبالفعل، تزوّجت فيكتوريا ماري لويزا الابنة الكُبرى للملكة فيكتوريا الإمبراطور الألماني فريدريش الثالث عام 1855، لتصبح فيكتوريا الصغيرة أميرة بريطانيا وإمبراطورة ألمانيا، وعُرفت بلقب الإمبراطورة فريدريش.

عام 1901، تُوفيت الإمبراطورة فريدريش، وكان سنّة من أطفالها الثمانية قد تزوّجوا أفراداً من العائلة المالكة الألمانية. وأقام أحفادها الاثنان والأربعون في القصور والقلاع في جميع أنحاء القارة. أرادت إمبراطورية ألمانيا من هذه القوة الناعمة أن ترعى حكومة دستورية على النموذج البريطاني، لكنّ هذا أدّى إلى نتائج عكسية خلال الحربين العالميتين.

يتتبّع كتاب «الشاي مع هتلر: التاريخ السري للعائلة الملكية والرايخ الثالث» (Tea With Hitler: The Secret History of the Royal Family and the Third Reich - The History Press) لمُخرج الأفلام الوثائقية دين بالمر العلاقات التي تفتت بين العائلة الملكية البريطانية والنظام النازي.

تبدأ الوقائع في الكتاب من حياة الدوق تشارلز إدوارد وأخته الأميرة أليس. وُلد الدوق ونشأ في إنكلترا، حتى أرسل عندما كان يبلغ 14 عاماً إلى ألمانيا لحكم كوبورغ، وهي مدينة ألمانية تقع في أقصى شمال ولاية بافاريا. بعد الحرب العالمية الأولى، أصبح نازياً متحمّساً، واستخدم هتلر الدوق كقناة دبلوماسية سرية مباشرة إلى قلب المؤسسة البريطانية. ولعب تشارلز دوراً حاسماً في تنظيم زيارة الملك المتنازل عن العرش ودوق ونسور إدوارد الثامن إلى ألمانيا النازية في عام 1937، وساعدته الأميرة أليس، التي استضافت كبار النازيين في منزلها. وشاركت أليس آراء أخيها المعادية للسامية.

أما دوق ونسور إدوارد الثامن، وشقيقه الأصغر دوق كينت، وابن عمهما اللاندغراف النازي -كما أطلق عليه- فيليب (لاندغراف لقب كان يُستخدم في الإمبراطورية الرومانية المقدسة ولاحقاً من قبل أراضيها السابقة على نفس رتبة لقب «دوق»)، قد أعجبوا بالانتعاش الاقتصادي السريع لألمانيا تحت حكم هتلر، واعتبروا الحزب النازي بمثابة حاجز ضد الشيوعية. وقد رفضوا إعلان الحرب على ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وطالبوا باللجوء إلى الحلول الدبلوماسية.

أما أمير اليونان والدنمارك فيليب (الذي أصبح دوق إدنبرة)، والزوج المستقبلي لملكة بريطانيا الراحلة أخيراً إليزابيث الثانية، فقد عاش مع أخته الأميرة صوفي لبعض الوقت في ألمانيا، وقد تزوجت صوفي شقيق اللاندغراف النازي فيليب، أي الأمير كريستوف من هِسّن، وهي إحدى ولايات ألمانيا ومن أغناها اقتصادياً.

وبالتزامن مع رحيل أمير اليونان والدنمارك فيليب ألمانيا لبدء حياته المهنية في البحرية الملكية البريطانية، تحت رعاية خاله اللورد لويس مونتباتن وابن عم الملكة إليزابيث الثانية، أصبح الأمير كريستوف مُقرباً من القائد النازي هيرمان غورينغ مؤسس الجهاز السري «الغستابو»، وقائد قوات الطيران الألمانية، خلال الحرب العالمية الثانية، وتمت ترقية كريستوف بسرعة، ليصبح رئيساً لـ«مكتب الإشارات والتشفير»؛ وهو وحدة سرية للتنصت على المكالمات الهاتفية للنازية. ولو لم يمت الأخير في حادث تحطم طائرة عام 1943، لكان فيليب عاني من عار رؤية زوج أخته يواجه محاكمة بارتكاب جرائم حرب. ومثل هذه الفضيحة كان يمكن أن تنهي فرصته في الزواج بملكة بريطانيا المستقبلية.

وسط هذه الشبكة العائلية، قام إدوارد الثامن المؤيد بشدة لألمانيا (دوق ونسور لاحقاً)، الذي تنازل عن العرش عام 1936 ليتزوج بالأميركية وليس سيمبسون، بزيارة أسرية لأدولف هتلر عام 1937 لتناول الشاي في البرغهوف أشهر منازل الفوهرر الآمنة بجبال الألب، وقد قصفته القوات البريطانية في عام 1945، ودُمّر جزئياً في هذه الغارة.

تحدث هتلر والدوق على انفراد لأكثر من ساعة، بينما التقت الدوقة مع نائب الفوهرر رودولف هيس. وتزعم بعض الروايات عن محادثة الدوق أنه انتقد سياسات هتلر، بينما يؤكد آخرون أنه ربما قدّم دعمه الضمني. وفُقد النص المكتوب لإجتماعهم لاحقاً، وربما دمرته الحكومة النازية. غادر الزوجان بعد تناول الشاي مع هتلر بعد الظهر.

وعلى الرغم من الاعتراضات الشديدة من الحكومة البريطانية، أدّعى الدوق أنه كان يقوم برحلة لتفقد ظروف السكن والعمل، لكنه كان يأمل على الأرجح في أن تصقل الرحلة سمعته في الداخل والخارج وربما تحسن العلاقات الأنغلو-ألمانية. وكتب سكرتيره الخاص في وقت لاحق أن الدوق خطّط أيضاً لاستخدام الرحلة لتقديم زوجته للأوساط السياسية الأوروبية، فهي لم تُمنح لقب «صاحبة السمو الملكي» في احتفال زفاف الزوجين، وكانت مُنبوذة في الأوساط الملكية.

وبالفعل، خلال الرحلة التي استغرقت أسبوعين، عومل إدوارد وسيمبسون مثل النجوم، وقوبلوا بحشود ضخمة مبتهجة، واستقبل العديد من النخبة الألمانية الملك السابق بالتحية النازية، وقوبلت الزوجة بمراسم ملكية لم تحصل عليها في بريطانيا. وتناولا العشاء مع العديد من كبار المسؤولين النازيين، بمن في ذلك هيرمان غورينغ وجوزيف غوبلز، بل زارا مدرسة تدريب لقوات SS السيئة السمعة.

زادت الرحلة من المخاوف بشأن ولاءات الزوجين، إذ أصيب كثيرون بالرعب من افتقار الدوق إلى الحكم والفطرة السليمة. وقامت الولايات المتحدة بمنع رحلة مخطّطة لسفر الزوجين لها عندما احتجّ أعضاء بارزون في المنظمات اليهودية الأميركية على أن الزوجين تجاهلا اضطهاد ألمانيا لليهود.

تضمّن الملف تفاصيل خطة سرية تحمل الاسم الرمزي «عملية ويلي». في عام 1940، هرب الدوق والدوقة من باريس التي احتلها النازيون وسافرا إلى إسبانيا والبرتغال المحايدتين. وأمر وزير الخارجية الألماني يواكيم فون ريبنتروب المسؤولين النازيين المحليين بمقابلة الزوجين، الذين زعمت الوثائق أنهما أعربا عن استيائهما من كل العائلة المالكة البريطانية، وحكومة وينستون تشرتشل.

في شهر تموز (يوليو) من ذلك العام، وفي محاولة لإخراجه من أوروبا وبعيداً عن النفوذ الألماني، أمر رئيس الوزراء تشرشل الدوق بتولي منصب جديد كحاكم لجزر الباهاما. وكان إدوارد متردداً في الذهاب، ولعب فون ريبنتروب على تلك المخاوف، إذ زُعم أنه قدّم معلومات كاذبة للزوجين عن تعرضهما لخطر الهجوم أو الاغتيال من قبل عملاء سريين بريطانيين. وحاول المسؤولون النازيون أيضاً إقناع الزوجين بالعودة إلى إسبانيا، بالقوة إذا لزم الأمر، وتقديم دعمهما للمجهود الحربي الألماني، والذي إذا انتصر سيشهد الإطاحة بالملك جورج السادس، وتعيين إدوارد مكانه كملك ومعه سيمبسون كملكة هذه المرة.

وفقاً لـ «ملف ونسور»، لم يستبعد الزوجان الخطة، ولم يُبلغا السلطات البريطانية بهذه المحادثات. وقد أخّرا رحيلهما لمدة شهر تقريباً. لكن على الرغم من الجهود التي بذلها النازيون في اللحظة الأخيرة، بما في ذلك ادّعاء تهديد قنبلة كاذب على السفينة التي تم حجز الزوجين عليها، غادر الدوق والدوقة البرتغال أخيراً وقضيا بقية فترة الحرب في جزر الباهاما، حيث استمرا في التشكيك علناً في قدرة بريطانيا على كسب الحرب.

في البداية، وافق المسؤولون البريطانيون والفرنسيون والأميركيون على رفع السرية عن أوراق ماربورغ وإصدارها وتوظيف فريق من المؤرّخين لفرز المجموعة الضخمة، وهي عملية استمرت سنوات. ولكن كما تظهر وثائق الحكومة البريطانية الصادرة عام 2017، حاول تشرشل منع نشر ملف ونسور، بما في ذلك تفاصيل عملية ويلي. وذهب إلى حد الاتصال بالرئيس الأميركي أيزنهاور، الذي عمل جنباً إلى جنب مع تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية. وزعم تشرشل أن الوثائق متحيزة وغير موثوقة، ومن المرجح أن تُسيء إلى العائلة الملكية، وبالفعل توافق مع أيزنهاور على حجب الملف لمدة 10 أو 20 عاماً على الأقل.

أخيراً، ليس من المستغرب، خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، انخراط العديد من أفراد العائلة المالكة البريطانية بعمق في الأفكار الفاشية، وحتى الإيديولوجية النازية. فمنذ القرن التاسع عشر، كان اليهود يمثلون الليبرالية التي رفضتها الطبقة الأرستقراطية. لذا فإن معاداة السامية التي سادت الإيديولوجية النازية لم تكن المعضلة الأخلاقية لأعضاء الطبقة الأرستقراطية الألمانية أو البريطانية. فقد كان يُنظر إلى اليهود على أنهم بلاشفة شيوعيون يهددون بقاء الطبقة الأرستقراطية نفسها.

وعلى الرغم من أن النازية شنّت بوضوح حرباً إيديولوجية على الطبقات العليا، إلا أنها، على عكس البلشفية، لم تهدد بنزع الملكية الخاصة من الأرستقراطيين. وبينما سخر هتلر علناً من أعضاء الطبقة الأرستقراطية واصفاً إياهم بالمنحطّين، إلا أنه كان يعلم بشكل خاص مدى فائدة مجموعة من الأفراد المرتبطين اجتماعياً في لعبة السياسة الدولية.

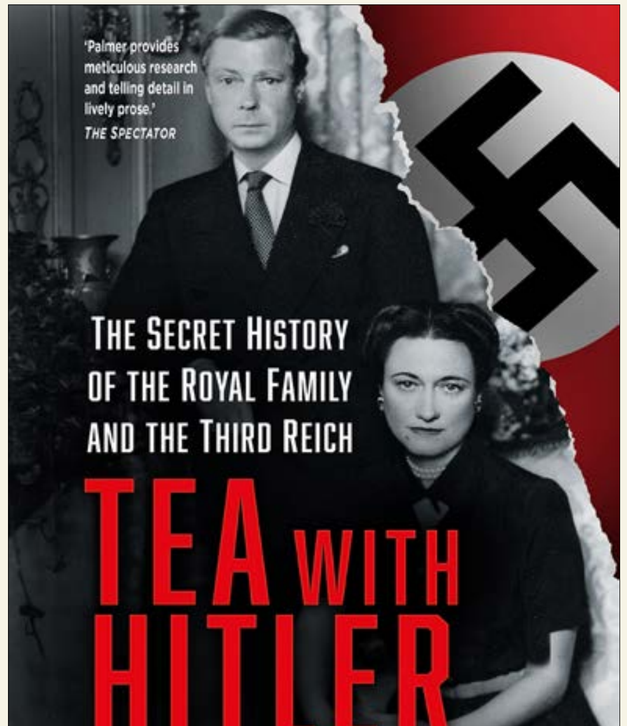

حاول تشرشل منع نشر ملف ونسور، بما في ذلك تفاصيل عملية ويلي

يوميات

الرحلة التي أضاءت وعي الـ Che

خليل صويلح

سيرافقنا هدير الدرّاجة النارية المتهالكة وهي تحرث الطريق نحو شرايين أميركا اللاتينية المفتوحة على البؤس، في تلك الرحلة العجائبيّة التي بزغت فجأة في ذهن إرنستو غيفارا (1928- 1967) وشريكه ألبرتو غرانادو. لكن الدرّاجة «لا بودريوسا /الجبّارة» ستتعطّل في منتصف الطريق بعدما تحوّلت إلى كومة عظام معدنية، ليكملا الرحلة في شاحنات وقوارب وطوافات، والمشي على الأقدام، ولن نستهجن لجوءهما إلى مخافر الشرطة للنوم. يوثق غيفارا في النسخة العربية المنقّحة من كتابه «يوميات دراجة نارية» (دار ورد، ترجمة صلاح صلاح) وقائع تلك الرحلة التي قام بها في عام 1952، بوصفها إقلاعاً أولياً صوب العالم الخارجي، محاولاً اكتشاف الغاز تلك القارة المجهولة، وخريطة جينات أميركا الجنوبية بروح الحالم، الرحلة التي كانت نواة وعيه الثوري اللاحق. لكنّنا هنا إزاء دون كيشوت متمرّد يحارب طواحين هواء من نوع آخر، في عبوره الخرائط الممزّقة لأميركا اللاتينية، من الأرجنتين إلى بنما والأنديز وصولاً إلى تشيلي، ومنها شمالاً إلى بيرو وكولومبيا، وانتهاء بكاراكاس: «انطلقنا في طريق جبلي رائع، أجمل ما يمكن للحضارة أن تقدمه، بالمقارنة بعجائب الطبيعة الحقيقية التي لم تخربها أيدي البشر، في شاحنة تحمل أمتعتنا الثقيلة، نحن المتحررين من الأحمال».

سنتعرّف إلى الماسي التي يعيشها عمّال مناجم النحاس، ومصحّات الجذام، والنضاريس المتباينة لهذه الجغرافيا الغارقة في الماسي من جهة، ودرجات الروحانية بين إقليم وآخر، من جهة ثانية. شخصان حالمان ومفلسان يقطعان الدروب بقوة المغامرة وحدها، وإذا بالرحلة التي امتدت لأشهر، ستضيء لاحقاً شخصية «تشي»، الشخصية التي ستتحوّل إلى إحدى أيقونات القرن العشرين، ليس في أميركا اللاتينية فقط، وإنما في معظم أنحاء الكوكب، بوصفها مصدر إلهام لثوّار العالم. تنطوي هذه اليوميات على التجربة في المقام الأول، والانخراط في حيوات المهمّشين من دون ادعاء بطولات خارقة، لكننا لن نستطيع تجاهل ما ستكون عليه هذه الأسطورة لاحقاً لجهة الكاريزما الثورية. فغبار الطريق سيتكشف عن عاصفة غضب وحرب عصابات في مواجهة الديكتاتوريات العسكرية. في وصفه لسحر تضاريس هذه القارة، يبدو غيفارا مأخوذاً بكنوز الطبيعة، وفي الوقت نفسه يعلن حزنه على مصائر هؤلاء البشر المخذولين وكرمهم اللامحدود تجاه الضيف. متطوعان في إطفاء الحرائق وزيارة المستشفيات والأعمال المؤقّتة مقابل قليل من الطعام والنبيذ، وبالطبع سيكون مشروب «المتّة» حاضراً في معظم الأوقات.

تحتشد يوميات غيفارا بمناظر جزئية وعابرة، لكن عمق التحديقة يمنحها ثقلاً ومعنى، رغم أسلوبه التهكّمي في توصيف عبثية هذه الرحلة، عدا حسّ المغامرة الذي منحه معرفة إضافية عن أسرار القارة المجنونة. هكذا قطع مسافة 4500 كيلومتر طاوياً الدروب الوعرة وصولاً إلى «سرّة العالم» عاصمة الإنكا ليعود من هناك بالشعلة التي صهرت روحه النقية ومزجتها بآلام شعوب القارة المنهوبة، بدءاً من تاريخ الإبادات الجماعية التي ارتكبتها غزوات الرجل الأبيض وانتهاءً بالأمل الإنساني المعذّب. سنلحظ باكراً بذرة سرد مضاد في بناء العبارة، ووضوح المسلك في ترجمة العاطفة، وفقاً للمرآة الشخصية للراوي، وبوصلته نحو ما هو حميمي وسط البؤس، مستنجداً بمقولة أوسكار غالفير الملهمة «عندما يمكن لسلك أن يحل مكان برغي، أعطني السلك لأنه أكثر أماناً».

نتتبع محطات الرحلة، كما لو أنها مكتوبة بعدسة كاميرا، لا يشوشها غبش الرؤية، ذلك أن البعد البصري لليوميات يواكب طزاجة السرد، والحسّ الصميمي بهوية أميركا اللاتينية في مواجهة المحاولات الرأسمالية لطمس تراثها المحلّي ونهبه «بعد هذه الرحلة، أدرك أكثر من أي وقت مضى أن تقسيم أميركا اللاتينية إلى أمم غير مستقرة ووهمية هو خيالي تماماً، نحن نشكل عرقاً هجيناً واحداً يحمل من المكسيك إلى مضيق ماجلان خواص إثنوغرافية فذة متشابهة». أفكار أولية، ستتحوّل في مرحلة أخرى إلى حطب في مواقد الثورات، ذلك أن هذا الشاب الذي هجر دراسة الطب، أدرك باكراً أن الجسد المريض للقارة يحتاج إلى مبضع آخر «سقطنا في الشرك والصنارة وخيط الصيد» يقول، موضحاً حجم الخسائر والأرباح في هذه الرحلة التي قادته إلى أبعد قرية في القارة المنكوبة، مقتسماً الخبز والمتّة والأغطية مع غرباء عابرين. يشير تشينتيو فيتير في تقديمه اليوميات بأن كتابة «تشي» نابضة بالحياة، فهو يصوّر الأشياء بأبعد ما يراها، بلمسة حميمة، ودمغة لا تنسى، من دون أن يسهب في «شعر الصورة العارية، إنما يجذب الكلمات صوبه، ما يشكّل لمسته الأدنى المتحوّلة إلى واقع»، وينوّه إلى مهارته في تظهير مشاهداته. على الأرجح هذا ما أغرى المخرج البرازيلي والتر ساليس باقتباس مقاطع من اليوميات في فيلم روائي طويل (2003)، مستثمراً البعد البصري في اليوميات والجغرافيا المفتوحة على أكثر من بلد.

يختتم غيفارا يومياته بلقاء رجل مجهول عصفت به أحوال العيش لينتهي مهجوراً في قرية جبلية صغيرة. سيخاطب غيفارا قائلاً «سأموت وأنا على علم أن تضحيتي تنبع فقط من المرونة التي ترمز إلى حضارتنا الفاسدة المتهارة. كما أعلم - وهذا لن يغير مجرى التاريخ أو نظرتك لي - إنك ستموت وقبضتك مطبقة وفكك متوتر، صورة مصغرة للكره والنضال، لأنك لست رمزاً (مثالاً يفتقر إلى الحياة) بل عضواً أصيلاً في مجتمع سيدمّر روح قفير النحل ويتكلم عبر فمك ويحرّض أفعالك. أنت مفيد مثلي، لكنك لست مدركاً كم مفيد إسهامك في المجتمع الذي يضحّي بك». سيوذع الرجل من دون أن يغادره رنين كلماته، كما ستضعه هذه التميمة في مواجهة عاصفة مع ذاته لن تهدأ بعد ذلك «سأهاجم المتاريس أو الخنادق، وسأحمل سلاحي الملطّخ بالدم، سأذبح أي عدو يقع بين يدي. أرى نفسي قريباً في الثورة الحقيقية. أشعر أن أنفي يتسع ليستنشق الرائحة اللاذعة للبارود والدم وموت العدو. أعدّ نفسي للمعركة لتكون فضاء مقدّساً».

من جهته، أنجز شريك غيفارا في الرحلة البيرتو غرانادو كتاباً بعنوان «مع تشي عبر أميركا الجنوبية» يصف وقائع الرحلة بمرآة أخرى، وقد أرفقه بمجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية التي تضيئ الدروب التي قطعاها سوية، والمصير المفجع الذي آنتهى إليه أيقونة القرن العشرين.

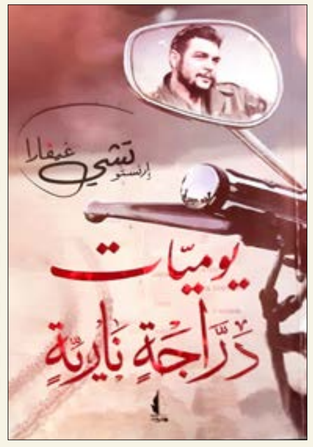

البعد البصري لليوميات يواكب طزاجة السرد، والحسّ الصميمي بهوية أميركا اللاتينية

رواية

ناتاشا براون: حكاية العِرق والطبقة الاجتماعية

غنوة فضة

تعرض الكاتبةُ البريطانية ناتاشا براون عبر روايتها «المحفل» (2021) التي انتقلت أخيراً إلى لغة الضاد عن «دار فواصل» (ترجمة أحمد م. أحمد) حكاية امرأة بريطانية من أصل جامايكي. تعيش الأخيرة في لندن، وترصدُ الأحداث من حولها كما لو أنها تحدث لشخص آخر. تبقى بطلة الرواية بلا اسم حتى آخر سطر في حكايتها، كأن الكاتبة أرادت بذلك تأكيد وجودها في حيّز مهمش. ذلك أنها في أثناء استعدادها لحضور احتفال في منزل صديقها البريطاني، تفكر في القطع المتراصة لحياتها؛ الهجرة واللجوء، إلى جانب معركة إثبات الذات والحصول على مقعد دراسي. تثير تلك القطع المتناثرة لحياتها أسئلةً بلا إجابات. فهل آنَ أوانُ تفكيكها مع إصابتها بورم خبيث؟ وهل لذلك الكيان المجمع لامرأة كافحت للوصول إلى ما لم تصل إليه مثيلاتها أن يتشظى ويُسفر عمّا هو أكبر من حكاية فردية؟ هل تدور حكايتها عن العنصرية أم عن قوالبَ جاهزة صنعها الآخرون واعتمدوها لإطلاق الأحكام وسن القوانين؟

«أيّ قيمة لكلماتي في هذه البلاد مستمدة من ارتباطي بمؤسساتها... لا يسعني إلا أن أحرر كلماتهم». نستمع هنا إلى حكاية تُعنى بتفكيك العرقية، وتُحيل أثارها إلى صياغات جاهزة، إذ تحتل التصنيفات الاجتماعية مكانة هامةً في العقلية البريطانية، ومعها لا يفلح الكسب ولا جمعُ الثروات في تخليص المرء من الشعور بغرابته. ومن هنا تتجرأ بطلة الرواية على عالمها. تكشف عن تلك القوانين الخفية التي ورثها البريطانيون. ومن خلال سمّاع رحلتها الشاقة في إيجاد مقعدٍ مرموق، سواء في الجامعة أو العمل، نكتشف عالماً يتغنى أهله بالحديث عن قيم العمل والمثابرة والإنسانية فيما يخفي وجهاً لإرث استعماري ممتد. ولم يفلح ثقافيون في منح إلصاق صفة المهاجرة بها. بل بقي العرق واللون حاكماً لحياتها من تجوالها للتسوق ببنهم إلى تبادل الأحاديث مع صديق أو حبيب.

تسعى البطلة إلى الترقية في الدراسة والعمل، وتستمر مغولةً في عوالم البشر من حولها. تكشف حقيقة احتفاظ البلاد بإرثها الاستعماري، وإن ظهر ذلك بصورة مختلفة عما كان عليه سابقاً. إذ نجدها، وقد حققت كامرأةٍ أكثر مما يمكن أن يحققه البريطانيون أنفسهم، عالقةً في مكانها. ما زالت تلك النظرة التي تنفذ من عيون الآخرين تؤلمها.. بكل ما تحمله من عنصرية وبُغض «أنا كل شيء طلبوا مني أن أكونه..». لكنها لا تتوقف، بل تستمر في التقدم والكشف من خلال عالم صديقها المتوج بميراث كبير من الامتيازات العائلية. يأتي تشخيص إصابتها بمرض السرطان ويرجح كفة شعورها بفراغية إنجازاتها. تتناثر هنا قطع الحكاية السردية، وتتجمع في صوت امرأة أُريدَ لهُ أن يظهر بصورة شذرات منفصلة، كما لو أنها تدفع بالقارئ لتشكيل موازييك مشوّه، أحدث فيه الإحباطُ عطباً، ومحت العنصرية أي إمكانيةٍ لتكوين جمالي محتمل. هكذا تنظر البطلة إلى الزملاء في العمل بعينٍ تقرأ نواياهم الخفية. يقرّون بتفوقها ويعزونه إلى حاجة البلاد إلى التنوع لا إلى ذكائها أو مجهودها، حتى يتسع الأمر ويطال علاقتها بصديقها، الحبيب البريطاني الذي اختارها لإثبات نظرته المتزنة في الحياة أو لربما لإثبات نوع من المصداقية الليبرالية. هكذا تكشف قيم الآخرين تجاهها بتهكم، مثلما تصغي إلى كلماتٍ تُنعتُ بها أثناء سيرها في شوارع لندن، أو إلى تلك الاتهامات التي تشير إليها على ألسنة العنصريين ضد السود. تعلم أنهم متهمون باحتلال البلاد وتخليصها من خيراتها، وتدرك حالة عدم الترحيب بهم. يتضح ذلك أكثر عبر علاقاتها المتأرجحة مع الزملاء في العمل، من دون أن يقف الأمر عند حدود المجتمع، بل تتسع دائرة الحكاية لتكشف عن الوجه المظلم لبريطانيا الحالية، ذلك الوجه الذي عدل هيأتهُ وبقي موغلاً في الاستغلال. يتغذى على ما يدفعونه من ضرائب، ويأبى الاعتراف بهم. إنها الاستعمارية في وجهها الحديث، تدفعهم لإنفاق مدخراتهم من أجل التعلم في المدارس وتأمين الرعاية الصحية، لكنها تسلّم بحقيقة كونها مع غيرها من المهاجرين مجرد إيرادات صافية لخزينة الدولة، وموارداً طبيعياً يستغلونه ويحطون من قدره في آنٍ معاً.

لا تتخطى رواية براون 100 صفحة، لكنها تضجّ بصوتٍ حارقٍ، وصرخةٍ مرّة لراويةٍ خرجت من لونٍ بشرتها إلى إرهاقها وإنهاكها. فعلت كل ما هو مفترض أن تفعله، ومع ذلك تقف في النهاية مقرةً بخسارتها أمام سرطان التحيّز العنصري، ما يدفعها إلى اتخاذ قرارٍ بعدم محاربة ورم آخر استولى على جسدها، وتبنّي الموت لتجاوز أوجاعها. هكذا تنتهي حكاية «المحفل» لامرأة تركت حياتها خلف ظهرها، وتطورت ونمت ضمن عائلة لم يُتوقع لها أن تصل إلى ما وصلت إليه في تحقيق الحلم الغربي، والخضوع لتجاهل نظامه العنصري.

عالم يتغنى بالحديث عن الإنسانية فيما يخفي إرثاً استعمارياً ممتداً

أوراق

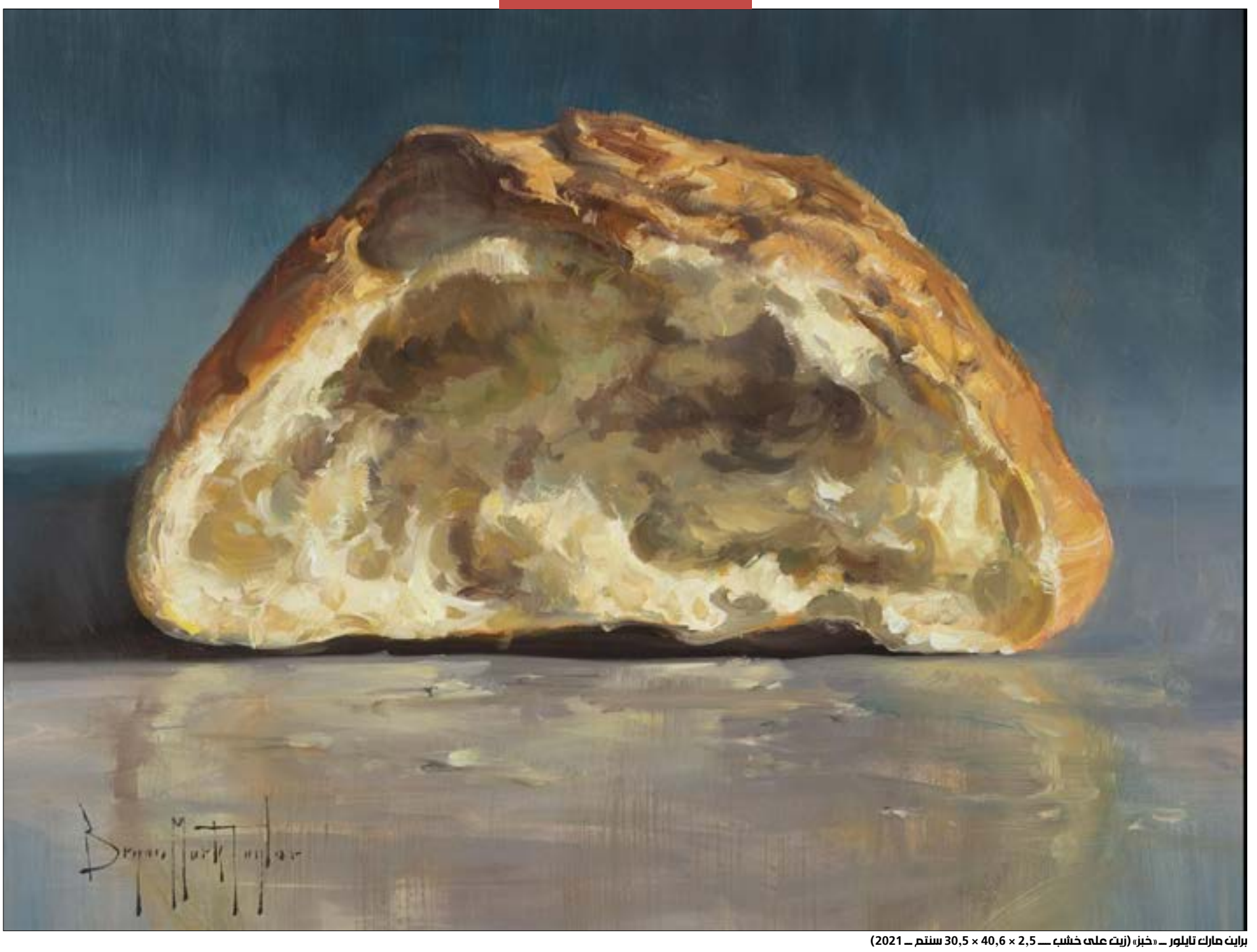

براين مارك تايلور ــ «خبز» (زيت على خشب ــ 2,5 × 40,6 × 30,5 سنتم ــ 2021)

كسر السّفرة

زكريا محمد *

«كسر السّفرة» تعبير شائع في بلاد الشام وفي العراق، وربما في عدد من البلدان العربية الأخرى. وهو يعني: فطور الصباح، أو الترويقة، أو الرّيوق.

والسائد أنّ «السفرة» بالسين، وأنها تعني مائدة الطعام. بالتالي، فكسر السفرة- المائدة، يعني الأخذ من طرفها، أي أنّ «الكسر» في الجملة، يعني شيئاً مثل «كسر الرغيف». فأنت تأخذ بيدك من طرف السفرة- المائدة كأنك تكسر منها كما تكسر قطعة من رغيف.

لكن هناك من يعتقد أنّ الأصل بالصاد (الصّفرة) وليس «السفرة»، وأن الأمر يتعلق بصفرة الوجه التي تتأتى من الانقطاع عن الطعام لوقت طويل. وهناك آخرون يعتقدون أنّ «الصفرة» هي عصارة المعدة التي تكون ميالة إلى الاصفرار حين تكون المعدة فارغة. بذا، فالفطور يكسر هذه العصارة الصفراء ويخفف أذاها.

أما العالم اللغوي الكبير الأب مرمرجي الدومينكي، فيرى أن الكسر هنا يتعلق بكسر للصوم. فالفطور هو كسر للصوم الليلي في الصباح: «ومن «الفطر»: الأكل بعد صيام رمضان. و«الفطور»: أكله الصباح، أي بعد الانقطاع عن الأكل في الليل. والثلاثي منه «فطر» بمعنى شق أو كسر. ويقابله في الإنكليزية breakfast أي كسر الصيام، أو كما يقول البغادة «كسر الصفرا»، أي الترويقة» (مرمرجي الدومنكي، معجميات عربية سامية، ص 210، طبعة مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، لبنان، 1950).

وهكذا، فهو بشكل ما يقيس التعبير العربي على التعبير الإنكليزي. فتعبير «كسر الصفرة» معادل للتعبير الإنكليزي breakfast الذي يعني «كسر الصيام». بذا، فالأب مرمرجي يفترض أن الصاد البغادية منقلبة عن السين. أي أننا مع «كسر السفرة» لا «كسر الصفرا». والسفرة هي الطعام ومائدته حسب القواميس العربية. وفي الأصل، فإنّ «السفرة» هي طعام المسافر، ثم سميت الجلدة التي يوضع عليها هذا الطعام سفرة أيضاً: «والسُفرةُ الطعام يتخذُ للمسافر، وبه سميت الجلدة سفرة»؛ (ابن فارس، مجمل اللغة). يضيف الصاحب: «والسُّفْرَةُ: طَعَامٌ يُتَخَذُ للمُسَافِرِ، وبه سُمِّيَتِ التي يُحْمَلُ فيها الطَّعَامُ» (الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة).

غير أن تفسير الأب مرمرجي مشكوك فيه عندي. فأنا أظن الصيغة البغدادية (الصفرا) بالصاد هي الصيغة الأصلية للتعبير، وأنها في الأصل بتاء التأنيث: «الصفرة»، ثم صارت «الصفرا» حيث تحول التاء الساكنة إلى شيء بين هاء السكت والألف عند النطق بها في آخر الكلمات في اللهجات العامية.

أما هذه «الصفرة»، فليست هي صفرة الوجه، ولا صفرة عصارة المعدة، بل هي حية أسطورية عربية معروفة جداً. وهي موجودة في البطن، وتثور عند الجوع، وتعض البطن، وتسمى: الصّفْر: «تزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه تعرّضتْ له في بطنه حية يسمونها الشّجاع والصّفْر. وسماها أَبو خراش الهذلي بالشجاع وهو يخاطب امرأته:

أَردّ شجاع البطنِ لو تعلَمينه
وأوثر غيري من عيالك بالطعمِ»
(لسان العرب).

يضيف الدميري: «الصّفر: زعموا أنّ الإنسان إذا جاع عضّ على شرسوفه الصّفر، وهي حية تكون في البطن، وذلك قول أعشى باهلة... : لا يتأرّى لما في القدر يرقبه/ ولا يعضّ على شرسوفه الصّفر [والشرسوف طرف الضلع]» (الدميري، حياة الحيوان الكبرى). يزيد اللسان: «شجاع البطنِ: حية يذكر أنها في البَطْنِ وتسمى الصَّفْر، تؤذي الإنسانَ إذا جاع» (لسان العرب). ويؤكد تاج العروس: «الشجاع: الصَّفر الذي كون في البطن، وفي الصحاح: وتزعم العرب أن الرجلَ إذا طال جوعه تعرَّضت له في بطنه حية يسمونها الشجاع والصَّفر» (الزبيدي، تاج العروس).

عليه، فأصل التعبير الشعبي هو «كسر الصَّفرة»، أي أن التعبير الشعبي أنّث كلمة الصفر، على اعتبار أن الحية مؤنثة في العرف الشعبي، رغم أن القواميس عموماً تراها مذكراً. بالتالي، فمعنى التعبير هو: تهدئة حية البطن هذه التي تعض عند الجوع. عليه، فكسر الصفرة يعني: تهدئة جوع البطن. وهذا يعني أن الكسر هنا بمعنى التفتير والتليين والتخفيف والتهدئة: «في حديث العجين: قد انْكَسَر، أي لان واخْتَمر. وكل شيء فَتَر، فقد انكسر» (لسان العرب). ونقول: انكسر حر الماء: بمعنى فتر. وانكسر الحر: بمعنى لان وخفت. ولعله من هذا سمي الفطور (ترويقة). فهي (تروّق) حية البطن، أي تهدئها.

> أَردّ شجاع البطنِ لو تعلَمينه/ وأوثر غيري من عيالك بالطعمِ

انطلاقاً من ذلك، فقد كان أبو خراش يرد شجاع بطنه، أي حيته، أي يرفض الطعام الذي يسكته ويهدئه، مع جوعه، ويتحمل ألم ذلك، مؤثراً أن يترك هذا الطعام لأولاد المرأة التي نحرت له وأرادت أن تسد جوعه، وأن تسكت حية أحشائه.

أَردّ شجاع البطنِ لو تعلَمينه
وأوثر غيري من عيالك بالطعمِ

ومن المحتمل جداً أن تكون أمعاء الإنسان هي التي صورت على أنها حية الصفر هذه. فهذه الأمعاء تتلوى كحية طويلة في داخل الإنسان.

إذن، يبدو أن من الخطأ قياس التعبير العربي (كسر الصفرة) على التعبير الإنكليزي breakfast، وهو ما فعله الأب مرمرجي. فالأمور أعقد من هذا في ما يظهر.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 8 Octobre 2022 no37
السبت 8 تشرين الأول 2022 العدد 37

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

صناعة البيئة الجنائية

[3-2]

(أرشيف ـ مروان طحطح)

الأدلة الجنائية لا تكذب ولا تخاف

4

«المؤسسة العقابية» لم ترَ النور

5

مناهضة التعذيب قوانين للزينة

7-6

الأحكام المسبقة «حزب الله» نموذجاً

أونلاين

في العمق

الجريمة ليست مجرّد خيار فردي. للوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي أثر عميق على سلوك الناس

ودوافعهم للخلوع في افعال يجرّمها القانون. صحيح ان معدّل بعض الجرائم في لبنان يزداد في مناطق لا تحظى باهتمام الدولة ويعاني اهلها من البطالة والعوز. غير ان انهيار قيمة العملة الوطنية وتفاقم الازمة المعيشية يزيدان مستوى الجرائم في كل لبنان بشكل مستمر منذ عام 2019. اخطر ما في الامر حرمان كثير من المراهقين من المدرسة والتعليم لعدم تمكن الاهل من تغطية كلفتها. وبسبب لجوء كثر من الفقراء الى عمالة الاطفال. سنسعى في ما ياتي الى تفسير بعض النشاط الجنائي المتزايد للمراهقين بحسب علم الجريمة وبعض عناصر صناعة البيئة الجنائية في الشارع

أطفال ومراهقون في الشوارع... صناعة البيئة الجنائية

(هيثم الموسوي)

■ بشرى زهوة، عمر نشابة

في إحدى زوايا سوق صيدا الشعبي، يجلس أبو فادي (46 عامًا) أمام عربة للخضار. ولداه - أكبرهما عمره 13 عامًا - يناديان لجذب الزبائن. يبدو على هيئتهما وكأنهما لم يأكلا وجبة كاملة منذ أيام. يقول أبو فادي إنّه لم يرسلهما إلى المدرسة منذ عامين، ولا قدرة لديه على تسجيلهما هذا العام أيضًا. يؤكّد أنّه حاول، لكن «ما باليد حيلة. الوضع تعيس، مين باله بالمدارس؟ الشنطة بـ 400 ألف ليرة، علبة التلوين بـ 100 ألف. الأوتوكار طلب مليون عالولد، ما عندي غير هالعربايّة، شو باخدهم وبجيبهم عليها؟ خلّيهم معي بالشارع بيتعلّموا المصلحة وبيجيبهم شغل برّاني، شو فيني أعمل؟».

الفقر والحرمان عنصران أساسيان في انحراف الأحداث وميولهم إلى ارتكاب الجريمة. إذ أن افتقارهم إلى حاجاتهم الأساسية وإلى تطوّرهم النمائي السليم، يضعهم أمام حالة من الإجهاد والتوتر، والشعور الدائم بالإحباط، لانعدام الموارد المالية التي تعد الوسيلة الوحيدة لتلبية احتياجاتهم ورغباتهم من خلال الطرق المشروعة، وهذا ما يجعلهم أكثر ميلًا إلى ارتكاب الجريمة من الأحداث من أبناء العائلات الميسورة الذين يتمتعون بسهولة الوصول إلى كل ما يرغبون بوسائل مشروعة.

لكن، لا يوجد توجه نظري واحد يمكن أن يشرح بشكل كافٍ المتغيرات والعوامل المتعددة التي تسبب السلوك الجنائي لدى الأحداث والمراهقين. لذلك أخذ علماء الجريمة أجزاء من النظريات الاجتماعية المختلفة وجمعوها لشرح الجريمة والانحراف. وقبل الدخول في تفاصيل النظريات، قد يكون من الأولى عرض العوامل الاجتماعية المساهمة في السلوك الإجرامي.

دوافع اجتماعية واقتصادية

تُحدد الأدبيات الجنائية مجموعة من العوامل البيئية باعتبارها مرتبطة بالسلوك الإجرامي للأحداث والمراهقين. وهي تشمل العوامل الإنمائية، الاجتماعية، والاقتصادية. في ظل المشكلات الاقتصادية والضائقة المادية التي يعاني منها معظم السكان في لبنان، شهدت الشوارع والأسواق في الآونة الأخيرة طفرة كبيرة في عدد الأطفال والمراهقين البائعين والمتسوّلين، بلا مدارس ولا حتى أدنى الحقوق الأساسية. ولم يعد الامر يقتصر على أبناء النازحين او اللاجئين او سكان بعض المناطق الفقيرة، بل تعجّ شوارع بيروت اليوم بالعديد من طلاب المدارس الذين حُرموا من متابعة دراستهم. وقد راقبنا بعضهم يحدقون بحزن الى أولاد من العمر نفسه يتنقلون مع أهاليهم في سيارات فخمة ويذهبون الى المدارس الخاصة.

ويضاف إلى ذلك، التفكك العائلي والعنف الذي يتعرض له الأطفال في بعض العائلات، نتيجة التوتر الذي يسببه الحرمان، ما يؤدي إلى استخدام الأولاد والمراهقين في شبكات التسوّل المنظّمة التي زاد انتشارها منذ بداية الأزمة المعيشية الخانقة.

إن سوء التغذية المرافق للفقر هو أيضاً جانب مقلق بشكل خاص ومؤثّر على التطوّر النمائي للأطفال. فمن الممكن أن يؤدي نقص التغذية إلى مشكلات لديهم مثل صعوبات في الإدراك، وضعف التحكم في الإنفعالات أو تفاقمها. وقد تمّ تحديد هذه الاختلالات المعرفية واضطراب وظائف الدماغ على أنّها بوادر للجنوح لدى بعض الأحداث.

الانحراف اللامعياري

يجنح بعض الأحداث إلى الانحراف لأنهم لا يملكون الوسائل والطُرق لإسعاد أنفسهم وتلبية احتياجاتهم. ونظرًا لوجهة نظرهم المحدودة، غالبًا ما يجدون أن أهدافهم غير قابلة للتحقيق وأنهم عاجزون، لذلك يلجأون إلى وسائل غير قانونية لتحقيق أهدافهم. فعلى سبيل المثال، الحدث الذي يحلم بشراء حذاء رياضي وليس لديه المال الكافي لذلك ولا يمكنه تحصيل المال من اهله او من التسوّل، قد يقرر الحصول على الحذاء بطريقة تخالف المعيار السلوكي الذي يفترض ان يتعلمه في البيت والمدرسة. لذلك قد يستدين او يسرق او يبيع أغراضاً ليست ملكه او يقرر الانتساب الى عصابة سرقة او بيع مخدرات او غير ذلك من الأعمال الجنائية. ويسمي علماء الجريمة هذه الظاهرة بـ«الانحراف اللامعياري». وقد عمل الباحث الأميركي روبرت ميرتون في اربعينات القرن الماضي على تطوير هذا المفهوم تمهيداً للبحث عن علاجات مناسبة. وشرح ميرتون انه كلما توسّعت الهوّة بين الوسيلة والهدف كلما زادت نسب الانحراف اللامعياري.

اثر البيئة الفرعية (Subculture)

ما إن تحوّلت إشارة المرور إلى اللون الأحمر حتى صرخت «لولو»، ابنة الخمسة أعوام التي ترتدي كنزة ملطخة ببقع الزيت وسروالاً قصيراً ممزّقاً، والتي تفخر بأنّها «المتعلّمة» الوحيدة بين زملائها الأكبر منها سنّاً، كونها تلمّ ببعض حروف الأبجدية العربية: «حمرااااا يلا تعوا»، ليركض عدد من الأطفال والمراهقين باتجاه السيارات المتوقفة. أحدهم يرش الصابون السائل على زجاج سيارة، وأخرى تتوسّل لصاحبة السيارة المرسيدس بـ«الله يخليلك هالوج الحلو»، وكأنهم بذلك ينفذون خطة متفقاً عليها مسبقاً وحِيَلاً ابتدعوها وتدربوا على تنفيذها.

ويتبين أن مجموعة من العادات والأعراف والفنون والممارسات تتكوّن لدى بعض الأحداث والمراهقين في الشوارع. إذ يمكن ان يبتدعوا بعض الالفاظ والحركات الخاصة بهم والتي قد لا يفهمها من هم من خارج البيئة الفرعية التي ينتمون اليها. وتُصبح البيئة الفرعية موجّهًا أساسيًا لسلوكيات الأحداث والمراهقين، اذ انها تُحدد لهم سلوكيات مشتركة ووسائل «قواعد» لممارسة تلك السلوكيات في ما بينهم ومع الآخرين. وتحدد البيئة الفرعية تقاسم الأرصفة والطرقات بالنسبة للمتسولين وبائعي الورد مثلاً، ويعرّفون بعضهم على أساليب النشل والنصب والاحتيال كما يعلمونهم تعابير ومصطلحات قد لا يعلمون معناها الحقيقي بسبب صغر سنهم. ينظر المجتمع بالطبع إلى البيئة الفرعية لأطفال الشوارع باعتبارها مخالفة لقيم المجتمع وغير مطابقة للثقافة العامة، وبالتالي تتبلور كبيئة فرعية جانحة ومنحرفة. وكان عالم الاجتماع والتر ميلر واحدًا من الذين حللوا البناء التكاملي للبيئة الفرعية الجانحة وبيّن أن الانحراف يمثّل جزءًا لا يتجزأ منها.

> الفقر والحرمان عنصران أساسيان في انحراف الاحداث وميولهم إلى ارتكاب الجريمة

> تنشأ لدى الأحداث والمراهقين في الشوارع مجموعة من العادات والأعراف والفنون والممارسات

«كتير بشتاق للمدرسة»

رحاب (14 عامًا) بلباسها المرتب النظيف، وشعرها الأشقر المربوط، تداوم كل يوم في محيط أبعد بقليل من إشارة المرور قرب "Le Mall" صيدا، من الثامنة صباحًا وحتى المغيب. هي الابنة البكر لعائلة من خمسة أطفال، أب لبناني مريض يلازم الفراش، وأمّ سورية الجنسية ترافقها من بعيد كحارس كي لا يتعرّض لها أحد. تركت رحاب المدرسة منذ سنتين. وهي، بعكس أقرانها المتواجدين بالقرب من الإشارة، تبدو أقل عرضة للاستغلال. تعلم جيّدًا نقاط قوّتها وتستغلّها لاستعطاف أصحاب السيارات المتوقفة. تقول بنبرة أسف: «كتير بشتاق للمدرسة، بس شو بدي أعمل، أجار بيت واشتراك وإخواتي زغار، مش رح إقبل إمي تمد إيدها.. هيّاني اسم الله عليي، طول وجمال وترتيب، وبطلب مساعدة بتهذيب والحمد لله بتتيسّر». وعما إذا كانت تتعرّض للمضايقات أو التحرّش تقول: «بلّي بيعملوا العمايل بيجوا الصبح بكير وبيطلعوا بالسيارات. أنا ما دخلني بكل يلي هون، والحمد لله ما حدا بيسترجي يقرّب ناحيتي». لكن، إلى متى ستصمد رحاب في وجه الانحراف اللامعياري؟ وهل تبقى صامدة أمام عدم الجنوح الكامل إذا ما تفاقمت الأزمة الاقتصادية أو احتاجت عائلتها إلى مزيد من المال؟ وهل يمكن ان تبقى في منأى عن البيئة الفرعية ام ستنساق اليها شيئاً فشيئاً كما حصل مع بقية أطفال ومراهقي الشوارع؟

«كيّعناهن»...

مع أنّ المادة 618 من قانون العقوبات اللبناني تنصّ على أنّ «من دفع قاصرًا دون الثامنة عشرة من عمره إلى التسوّل جرًا لمنفعة شخصية عوقب بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين»، إلا أنّ المشكلة لا تُحلّ بإلقاء القبض على المتسولين ومستخدميهم، الأمر الذي يؤكده أحد المراهقين المتسوّلين (15 عامًا) رافضًا ذكر اسمه: «بيلقطونا الشرطة وبيفلتونا، تعوّدنا، بس هلّأ تاركينا على راحتنا، هيّاهن...» مشيرًا إلى دراجَين واقفين لتنظيم السير على الإشارة، مُضيفًا: «كيّعناهن، من السبعة الصبح للوحدة بالليل ونحن هون وما عم يقربوا صوبنا».

تحت القوس

اتفاق ترسيم الحدود البحريّة الجنوبيّة
مكسبهم أكيدٌ وفوريّ ومكسبنا مُحتملٌ ومؤجّل

■ قاسم غريّب

لا تعدو نتائج اجتماع المجلس الوزاري المصغّر في كيان العدوّ، في 6 تشرين الأوّل 2022 للردّ على مُقترح الوسيط عاموس هوكشتين والإعتراضات اللبنانية على هذا الطرح، كونها رفعاً للسقوف من العدوّ لتحصيل مزيد من المكاسب، ولتفريغ الإعتراضات اللبنانيّة من محتواها. فالإتفاق الوشيك مصلحة للعدوّ قبل أن يكون مصلحة للبنان. فمكسبهم منه أكيدٌ وفوريّ، ومكسبنا مُحتملٌ ومؤجّل. واتّفاق كهذا يعني هدوءاً طويلاً في المياه البحريّة الجنوبيّة يحتاجه الكيان للشروع في إنتاج الغاز الوفير من الحقول المُكتشفة في المياه العربيّة المحتلّة. وآخرها ما أعلنت عنه شركة «إنيرجيان» أول من أمس، وتصديره لأوروبا المتعطشة لهذا الغاز كبديل جزئي عن الغاز الروسي، وما يعنيه ذلك من فوائد اقتصاديّة جمّة بسبب الأسعار التاريخيّة للغاز، والتي يبدو أنها ستستمرّ كذلك إلى أجلٍ طويل.

لبنان يدفع اليوم ثمن سوء الإدارة والتفريط الذي لحقَ بملفّ ترسيم الحدود البحريّة منذ 2007، مروراً بالـ 2011 ولغاية الآن. آخر الفُرص التي ضيّعها المسكون بالملفّ في لبنان كانت بالتهميش والقتل التدريجي للخطّ اللبناني 29، والركون الى الخطّ البائد المشكوك المنشأ 23 كسقف للمطالب اللبنانيّة والحقّ اللبناني. أمّا حصر النقاش في ما خصّ الثروات جنوب الخطّ 23 بحقل قانا المُحتمل، فلم يكن إلّا تعمية عن ثرواتٍ مماثلةٍ مُحتملةٍ أخرى تمتدّ عبر هذا الخطّ جنوباً. والمعضلة هي أنّه حتّى في ما خصّ حقل قانا المُحتمل فإن الإتّفاق يُعطي «حقّاً ما» للعدوّ بحصّة في هذا الحقل المحتمل. والخوف أن يحتوي الإتّفاق، حتّى بعد التعديلات التي طلبها لبنان، على أفخاخٍ ينفذ منها العدوّ لتعطيل التنقيب والإنتاج من مكامن الحقل المحتملة.

فبحسب قواعد ترسيم الحدود البحريّة الدوليّة المدوّنة في المواد 15 و74 و83 من اتّفاقيّة الأمم المتّحدة لقانون البحار، والتي تعكس العرف الدولي في هذا المجال، فإنّ النزاع البحري الحقيقي بين لبنان وكيان العدوّ هو بين «خطّ هوف» الذي يعطي كامل التأثير لصخرة تخليت والخطّ اللبناني 29 الذي لا يحتسب أيّ تأثير لهذه الصخرة بلحاظ مجافاة ذلك التأثير لمبدأ الإنصاف. وقد جاءت نتيجة الحكم القضائي عن محكمة العدل الدولية، في 12 تشرين الأوّل 2021 حول نزاع الحدود البحرية بين كينيا والصومال، سنداً إضافياً لمتانة الخطّ اللبناني 29. فالاتفاق الوشيك يعطي كيان العدو أكثر من 80% بين هذين الخطّين أي ما يُقارب 341 كلم2 من أصل 1777 كلم2. وهذا الإتّفاق يدور حول الخط 23 المولود في كيان العدوّ على ما تُشير كلّ الدلائل، والمفتقر الى أيّ سند قانوني بحسب إتّفاقيّة الأمم المتّحدة لقانون البحار، ويغفل قوّة الحقّ اللبناني بالخط 29.

منطقٌ «ليس بالإمكان أكثر ممّا كان» الذي يُكرّره المسكون بالملفّ لا يستوي. فالفرصة التاريخية كانت في المتناول للحصول على أكثر بكثير من حقوقنا بثرواتنا الجنوبيّة ممّا يُعطيه إتّفاق اليوم. فالزخم المتأتي عن الأسعار الخيالية للغاز وحاجة أوروبا لتنويع مصادر الغاز من جهة، والدعم غير المسبوق الذي أمّنته المقاومة للمفاوض اللبناني، من جهة ثانية، هذا الزخم وهذه الفرصة لن يتكرّرا. لبنان الرسمي، لسوء حظنا، قزّم المطلب اللبناني ووضع سقفاً لا يرقى إلى تلك الفرصة. العدوّ، من جهته، لن يفوّت، على الأرجح، فرصة اتّفاق كهذا. ولكن، يبقى السؤال الأهم: المقاومة كانت شديدة الوضوح في خياراتها في حال رفض العدوّ التسوية المقترحة لعتوّه وغطرسته وسوء تقديره لحافّة الهاوية التي يمشي عليها. ما هي خطة الممسكين بالملف في لبنان في هذه الحالة؟ أيّ شيء غير التثبيت الفوري للحق اللبناني بالخطّ اللبناني 29 سيكون إمعاناً بالتفريط وسوء الإدارة.

القرارات الدوليّة والمراسلات والكتب ما استعادت يوماً حقّاً في صراعنا مع كيان العدوّ، بدءاً من القرار 242 ووصولاً للقرار 425. كلّ حديث عن تحصيل لبنان لحقوقه الجنوبيّة عبرالضغط الدبلوماسي وتعديل المراسيم حصراً هو ترّهات. فالعدوّ يفهم لُغة واحدة هي لغة القوّة عند الدفاع عن الحقوق المشروعة. والإتّفاق الوشيك، على إجحافه، ما كان العدوّ ليرضى به ألّا تحت ضغط المقاومة وهو من هذا المنظار، بلا شكّ، سابقة ولا تقلّ نتائجه من منظور الردع والتحول الاستراتيجي عن نتائج حرب تمّوز. أمّا الأصوات المعترضة داخل كيان العدوّ على الإتّفاق وعلى ما صُوّر بأنّه تنازل كامل للبنان، فمردّها تعوّد طفل الإستعمار المُدلّل على الحصول على كلّ شيء، لذا لم يرُق له بالتالي «التنازل» حتّى عن القليل. يبقى التذكير بالمنطق الأخلاقي الثابت لما يحدث: فلسطين من نهرها الى بحرها مُحتلّةٌ سليبة ولا حقّ في برّها وبحرها وثرواتها لغُزاةٍ قدِموا واستُقدِموا من أقطار الأرض. وحتّى يأتي ذلك اليوم الذي تعاد فيه الحقوق إلى أهلها، وهو آتٍ، ستكون أيّ «مفاوضات» و«تسويات»، مباشرة أو غير مباشرة، مع العدوّ بخصوص الحدود البحريّة الجنوبيّة تحصيلاً لجزءٍ من حقٍ، الأولى أن نستفيد منه نحن لا العدو، من دون أن يشكّل هذا اعترافاً بالعدو وبحقّه المزعوم نتيجة تلك المفاوضات أو التسويات.

* باحث وأستاذ في الجامعة الأميركيّة في بيروت

المختبر الجنائي

ليس بالاعتراف وحده تتحقّق العدالة

الأدلة الجنائية لا تكذب ولا تخاف

وفق قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»، يجد القانمون على التحقيق، احياناً، ضرورة لممارسة قدر من الضغط والتعذيب من اجل استخراج المعلومات من المشتبه بهم. إذ غالباً ما يرى المحققون ان الاعتراف هو اكثر اشكال الادلة التي يمكن الاعتماد عليها باعتباره «سيد الادلة». ورغم تنفيذ منظمات غير حكومية عددا من البرامج والحملات لمناهضة التعذيب، وانفاق مبالغ ضخمة لتدريب القوى الامنية والمحققين على عدم اللجوء إلى التعذيب أثناء التحقيق، بيّنت الوقائع ان كل هذه المحاولات لم تصل الى النتيجة المتوخاة. يُعدّ التدريب على تقنيات التحقيق الحديثة، عبر استخدام اساليب التحقيقات العلمية الجنائية واتباع إجراءات قانونية تحدّ من الاعتماد على الاعترافات، من الطرق الفعالة لمناهضة التعذيب. لذلك، هناك ضرورة لإصلاح قطاع الطب الشرعي والادلة الجنائية باعتباره قطعة مفقودة في عملية إصلاح قطاع الامن، واستكشاف اهمية هذا القطاع اثناء التحقيق الجنائي كأداة رئيسية لحل الجرائم بدلاً من استخراج المعلومات تحت الضغط

■ جنان الخطيب

تُخصص أموال ومشاريع وبرامج لمناهضة التعذيب وتعزيز القانون والتحقيقات، وتدعو منظمات حقوقية السلطات اللبنانية إلى حماية المشتبه بهم من التعذيب والمعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة. لكن، رغم كل هذه المساعي لا يزال التعذيب سائدًا، بل يزداد استخدامه في القضايا المعقدة. إنّ التحقيق بشكل سريع ونزيه في شكاوى التعذيب، وتخصيص ميزانية تسمح لوحدة مناهضة التعذيب بالعمل، وجعل قانون مناهضة التعذيب متماشياً مع المعايير الدولية، كلها عوامل يمكن ان تساهم في حظر استخدام التعذيب وسوء المعاملة بحق المشتبه بهم. الا انها ليست حلولاً جذرية. إذ أن المعضلة الأساسية تكمن في ان إجراءات التحقيق في لبنان تبالغ في الاعتماد على الاعترافات، وغالبا ما تهمل «الدليل المادي» ونتائج المباحث العلمية لحل الجرائم. وبالتالي، فان أي مساع لمناهضة التعذيب، ولكي تكون فعالة، يفترض ان تكون ضمن إطار تدريب المحققين ووكالات انفاذ القانون على استخدام الأدلة الجنائية ونتائج المباحث العلمية بحق الجرائم، وتقليل الاعتماد على «الاعترافات».

خطر «الاعتراف»

الاعتماد الكبير على الاعترافات الناتجة عن «الاستجواب المعزز بالتعذيب» يمثل تحدياً ومشاكل لنظام العدالة الجنائية، وله تأثير سلبي على سير التحقيقات. فعندما يستخدم المحقق الإيذاء الجسدي والإكراه النفسي لانتزاع الاعترافات، يمكن ان يؤدي ذلك الى اعترافات كاذبة بسبب الإكراه أو التهديد او الخوف، أو لحماية الجاني الحقيقي من العقاب مقابل المال، أو لأسباب أخرى غير قانونية.

من جهة أخرى، يقدم التحقيق الجنائي العلمي أدلة مادية وتفسيرات وآراء تستند إلى أسس علمية. بدلاً من قول «عالجوه»، اطلب جمع بصمات أصابعه لتحليلها ومقارنتها مع البصمات التي تم رفعها من مسرح الجريمة، أو استدع الخبير الجنائي لأخذ مسحة من فم المشتبه به لتحليل حمضه النووي، أو تحرّ عن الأدلة الموجودة تحت أظافره لمقارنتها بدم الضحية او شعرها، أو اطلب دراسة «نمط حذائه» لمقارنته بآثار الاقدام حول الجثة. فالأدلة الجنائية لا تكذب، ولا تنسى، ولا تزوّر، ولا تخاف. لذلك، يتطلب قطاع الطب الشرعي والأدلة الجنائية إصلاحاً وإدخال منهجيات تحليلية جديدة ليعمل بكفاءة وحيادية. ومن الأهداف الأساسية لإصلاح هذا القطاع، الدمج الناجح للمباحث العلمية في قطاع العدالة، وتطوير قدرات المحققين ووكالات انفاذ القانون لتلبية احتياجات نظام العدالة. وهذا سيساعد بشكل فعال في حظر استخدام التعذيب خلال التحقيقات عبر تقليل الاعتماد على الاعترافات وبالتالي تعزيز استخدام الأدلة المادية أثناء التحقيقات.

التحديات

تشكل شهادات الطب الشرعي المتحيزة تهديداً لبقية السلسلة الجنائية والمحاكمة العادلة. إذا لم تكن لدى المحكمة خبرات موثوقة وفعالة في «الطب الشرعي والأدلة الجنائية» فقد تؤدي إلى أخطاء في تطبيق العدالة وانتهاك حقوق الضحايا أو المشتبه فيهم أو المحتجزين. فالإهمال والأخطاء وعدم التدقيق في نتائج المباحث العلمية، كتشريح الجثة مثلاً، قد يحكم على جريمة القتل بأنها انتحار، ما يؤدي إلى تضليل التحقيق، وتكون له آثار سلبية بعيدة المدى على أسرة الضحية، إضافة إلى حرمانها من العدالة، أو ربما قد يُحكم على الانتحار خطأً بأنه جريمة قتل، ما يؤدي إلى إدانة أبرياء. كما أن التأخر في إصدار تقارير المباحث العلمية والكشف الحسي ونتائج التشريح

> اي مساع لمناهضة التعذيب تتطلب التدريب على استخدام الادلة الجنائية ونتائج المباحث العلمية لحل الجرائم وتقليل الاعتماد على «الاعترافات»

سيعيق الحق في محاكمة عادلة وسريعة، ما يبقي المشتبه بهم قيد الاحتجاز لفترات طويلة قبل إصدار الحكم.

من جهة أخرى، فإن الشهادات الكاذبة من المتخصصين في الطب الشرعي والخبراء الجنائيين قد تُقنع المحكمة ببراءة متهمين أو إدانتهم من دون «ذرّة» دليل علمي، خصوصاً أنه ليس من غير المألوف ممارسة الضغط على هؤلاء لضمان نتيجة معينة قد لا تكون لها علاقة بالحقيقة العلمية. وقد يأتي هذا الضغط من وكالات مختلفة داخل نظام العدالة أو من مصادر خارجية، مثل السياسيين أو المسؤولين الفاسدين. إضافة الى ذلك، غالباً ما تكون الأدلة الجنائية غامضة بالنسبة للقضاة، بشكل أساسي بسبب سوء فهم قيمتها الإثباتية وأهميتها، وسوء فهم نتائج تحاليل المختبر في ما يتعلق، مثلاً، بأدلة بقايا طلقات نارية (GSR)، أو الفرق بين البصمة الوراثية (الحمض النووي) وبصمة الإصبع، كذلك قلة التواصل بين القاضي وقوى انفاذ القانون، وغياب الزيارات الى أماكن الاحتجاز والتوقيف.

عقوبات بديلة

10 سنوات على خطّة مدتها 5 سنوات

«المؤسسة العقابية» لم ترَ النور

يكثر الكلام وتتعدّد التصريحات والخطابات عن الافلات من العقاب في لبنان، وعن زيادة نسب تكرار الجريمة، وعن فشل الشرطة وعجز القضاء وفساد الإدارة. والعجيب في الامر ان بعض هذه التصريحات يصدر عن سياسيين ووزراء سابقين ونواب يتحمّلون جزءاً من مسؤولية عدم الاهتمام الجدي بإصلاح السجون، وتحويلها الى مؤسسات إصلاحية تعيد تأهيل المحكومين، وتساهم في تصحيح سلوكهم الجنائي. عام 2012، قرّر مجلس الوزراء استحداث «مؤسسة عقابية» متخصصة في إدارة السجون تابعة لوزارة العدل، ولكنها لم ترَ النور. فما قصة هذه المؤسسة وما اهميتها؟

■ عمر نشابة

مرت عشر سنوات على قرار مجلس الوزراء (المنعقد في السراي الكبير في 7 آذار 2012) استحداث مؤسسة عقابية متخصصة في إدارة السجون تابعة لوزارة العدل، من دون ان تقدم الدولة على أي خطوة جدية في هذا الاتجاه. صحيح ان المسؤولين في الدولة يبدون اهتماماً بأوضاع السجون ويعقدون مؤتمرات واجتماعات لهذا الشأن، غير ان اهتمامهم يبقى أشبه بالقرار الذي أصدره مجلس الوزراء منذ عقد من الزمن: حبر على ورق.

في موازاة ذلك، تتزايد المشكلات والتحديات في السجون يوماً بعد يوم. ومع تفاقم الأزمة الاقتصادية تتقدم العديد من الأولويات على أولوية اصلاح السجون. ولكن مع ارتفاع عدد الموقوفين والمحكومين، وبالتالي ارتفاع نسبة الاكتظاظ في أماكن معظمها لا يتناسب مع ادنى المعايير الحقوقية والقانونية، تزيد معدلات الجريمة وانتشارها، ويتطوّر السلوك الجنائي ويتعاظم. فالسجون في لبنان باتت «معاهد تدريب» على ارتكاب الجرائم وأماكن للتجمع والتنسيق والتجنيد والتخطيط لمزيد من الجرائم، ولا بد من إصلاحها لتتمكن من المساهمة في تصحيح السلوك الجنائي وخفض مستوى الجريمة.

خطة نقل السجون الى وزارة العدل

كان قد وافق مجلس الوزراء منذ 10 سنوات، على اعتماد خطة مدتها خمس سنوات وضعتها لجنة مشتركة بين وزارتي الداخلية والعدل بتاريخ 29-11-2011. ومن المفيد التذكير بأهم ما ورد فيها ولم يطبق، لأنها تشكل السبيل العملي لمعالجة كل مشاكل السجون.

وتتضمن الخطة:

استحداث مؤسسة عقابية متخصصة في إدارة السجون تابعة لوزارة العدل تحدد فيها الهيكلية والربط الإداري بينها وبين مديرية السجون مع الاخذ بعين الاعتبار الجانب العملي لمصلحة الاحداث في وزارة العدل، على ان تلحظ لها ميزانية خاصة، وتضم في هيكليتها مجلس إدارة من مختلف الاختصاصات المرتبطة بالسجون، من ممثلين عن الوزارات المعنية في ما خص التأهيل الصحي والتربوي والاجتماعي (الصحة العامة، التربية والتعليم العالي، الشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية ووزارة الداخلية والبلديات من خلال المديرية العامة لقوى الامن الداخلي)، والتي ستتيح التعاقد مع الأكثر كفاءة وفقاً لسلسلة رواتب ونظام عمل يتلاءم والمهام المطلوبة لادارة السجون.

وضع وزارة العدل مشاريع النصوص التنظيمية والتطبيقية المتعلقة بالمؤسسة العقابية لا سيما ما يتعلق بهيكليتها وتحديد ملاكات ومهام وصلاحيات موظفيها ووضع مشاريع أنظمة السجون الداخلية.

تطوير المرسوم رقم 14310 الصادر بتاريخ 11-2-1949 (تنظيم السجون وأمكنة التوقيف ومعهد اصلاح الاحداث وتربيتهم) لا سيما ما يتعلق منه بمهام وصلاحيات موظفي السجون من اداريين وفنيين ومراقبين، ووضع مشاريع الأنظمة الداخلية بغية تأمين حسن سير العمل بشكل يتماشى والمعايير الدولية المعتمدة لناحية معاملة السجناء.

وكذلك تخصيص جزء من موازنة وزارة العدل السنوية لمتطلبات عملية نقل صلاحية إدارة السجون من وزارة الداخلية الى وزارة العدل بدءاً من موازنة العام 2012 على ان يصار في مرحلة لاحقة الى وضع جدول زمني يحدد الموارد البشرية والمالية المناسبة بغية ترجمة الخطة المرتقبة عملياً على ان لا يتعدى هذا الجدول الخمس سنوات لعملية النقل.

خطوات مؤجلة لعشر سنوات

كان يفترض البدء بالسير في خطة لإدارة السجن المركزي في رومية كمرحلة أولية، وتحديداً في مبنى المحكومين، تتبعها لاحقاً باقي المباني بما فيها جناح الاحداث ومركز التأديب المعني بالقاصرات في ضهر الباشق وسجن النساء في بعبدا وذلك ضمن فترة سنتين.

> السجون في لبنان باتت «معاهد تدريب» على ارتكاب الجرائم وأماكن للتجمع والتنسيق والتجنيد والتخطيط لمزيد من الجرائم

وتتبعها بعد ذلك باقي السجون المركزية المرتقب استحداثها فور استكمال اعمال البناء والتجهيزات الضرورية ضمن خطة زمنية لا تتعدى الخمس سنوات. لكن اللافت ان الخطة لا تشمل السجون التي تقع ضمن حرم الثكنات العائدة لقوى الامن الداخلي وفي السرايات الموجودة في المحافظات.

لحظت الخطة العمل التدريجي والعملي عند المباشرة بعملية نقل

(انجلا بوليغان ـ المكسيك)

تسهيل عملية تلزيم بعض المهام الملقاة على إدارة السجون لبعض القطاعات الخاصة وفق عقود او اتفاقيات محددة قابلة للتجديد تبعاً لنتائج تلك المهام وما ينشأ عنها من خدمات إيجابية (مثل تأمين الطعام واللباس ووسائل العيش للسجناء واستحداث مشاغل صناعية وحرفية) على أن تكون أولوية العمل للسجناء أنفسهم.

تأمين المراقبة والمتابعة لأوضاع السجون، وتشمل التدقيق في مدى تطابق نوعية الخدمات العقابية وخصوصيات أماكن الاحتجاز، ما يضمن سلامة الإجراءات المتبعة في ظل الازدياد المتنامي لأعداد المحكومين والموقوفين في تلك السجون.

التدخل الفوري في الحالات الطارئة، الامر الذي يتطلب مرونة وسرعة في اتخاذ القرارات وإيجاد الموارد الإضافية الضرورية.

إدارة أي سجن من عهدة وزارة الداخلية والبلديات الى عهدة وزارة العدل بدءاً بتأمين التغذية والخدمات الصحية والاجتماعية والتربوية على أن تستتبعها وظائف المراقبة الداخلية والإدارة ومباشرة وزارة العدل بتكليف الموظفين المرتقبين للعمل في الأقلام العدلية في السجون.

كما ورد في الخطة مشروع بناء سجنين أحدهما في الشمال والثاني في الجنوب (عملاً بأحكام القانون رقم 172 تاريخ 29-8-2011: فتح اعتماد في موازنة العام 2011 لإنشاء أبنية سجون في منطقتي الشمال والجنوب). علماً ان اعمال بناء السجنين توقفت منذ سنوات ولا توجد أي معلومات عن إعادة مباشرتها.

أما الموظفون المولجون بإدارة وتشغيل السجون فيجري تدريبهم في معهد الدروس القضائية (عملاً بقرار وزير العدل الصادر بتاريخ 3-12-2008) بالتنسيق مع مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة والمخدرات.

مدير متخصص

مجلس الوزراء كان قد وافق على تحديد كفاءات مدير المؤسسة العقابية منذ عشر سنوات من دون ان يصار الى تعيينه. وكلف مدير المؤسسة العقابية بالمهام التالية:

وضع الدراسات الآيلة الى رسم سياسة عقابية شاملة تماشياً مع النظريات العلمية الحديثة، ووضع آلية محددة المعايير في مسألة التوظيف وتحفيز من سيتولى الاتصال المباشر مع السجناء من أصحاب الخبرة والكفاءة بغية تشجيع الاقبال على هذه الوظائف.

مرافعة

صادق علوية

مناهضة التعذيب قوانين للزينة

في العاشر من كانون الاول عام 1984، اعتمدت الجمعية العامة للامم المتحدة اتفاقية «مناهضة التعذيب وضروب المعاملة او العقوبة اللاإنسانية او المهينة». عام 1998، لاحظت لجنة حقوق الإنسان النيابية في البرلمان اللبناني «أن التعذيب ما زال يمارس في لبنان أحياناً أثناء التحقيق وداخل السجون»، وفقاً لما ورد في الاسباب الموجبة لقانون انضمام لبنان للاتفاقية عام 2000، أي بعد 16 عاماً. لكن لبنان انتظر 33 عاما ليصدر قانوناً يعاقب التعذيب بشكل خاص، وليصدر قانوناً حول تعزيز الضمانات الاساسية وتفعيل حقوق الدفاع. هكذا صار للموقوفين والمشتبه بهم والمحكومين سلّة من الحقوق المكتوبة... فهل تنفّذ يوما ما؟

(انجل بوليغان ـ المكسيك)

1. ما هو موقف التشريعات اللبنانية من التعذيب؟

انضم لبنان الى اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة او العقوبة القاسية او اللاانسانية او المهينة، والى البروتوكول الاختياري للاتفاقية، بموجب قانونين صدرا عامي 2000 و2008. كما اقرّ القوانين التالية:

قانون إنشاء الهيئة الوطنية لحقوق الانسان المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب (2016)

قانون معاقبة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاانسانية أو المهينة (2017)

قانون تعزيز الضمانات الاساسية وتفعيل حقوق الدفاع (2020)

2. ما هو تعريف التعذيب في القوانين المحلية والاتفاقات الدولية؟

يُقصد بالتعذيب: أي عمل يقوم به أو يحرّض عليه او يوافق عليه صراحة أو ضمناً موظف رسمي أو أي شخص يتصرف بصفته الرسمية أثناء الاستقصاء والتحقيق الأولي والتحقيق القضائي والمحاكمات وتنفيذ العقوبات، ينتج عنه ألم شديد أو عذاب شديد، سواء كان جسدياً أم عقلياً، يلحق قصداً بشخص ما بهدف: الحصول منه، أو من شخص ثالث، على معلومات أو على اعتراف، أو لمعاقبة أي شخص على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث، أو لتخويف أي شخص أو ارغامه، هو او أي شخص ثالث، على القيام أو الامتناع عن القيام بعمل ما أو

> **كل الاقوال التي يدلي بها الموقوف نتيجة اي فعل من افعال التعذيب تعتبر باطلة**

لتعريض أي شخص لمثل هذا الألم الشديد أو العذاب الشديد لأي سبب يقوم على التمييز أياً كان نوعه.

3. ما هي عقوبة التعذيب في القانون اللبناني؟

كل من يقدم على التعذيب يُعاقب: بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات: إذا لم يفض هذا التعذيب إلى الموت أو إلى خلل أو عطل جسدي أو عقلي دائم أو مؤقت.

بالاعتقال من خمس سنوات إلى عشر سنوات: إذا أفضى التعذيب إلى خلل أو عطل جسدي أو عقلي دائم.

بالاعتقال من عشر سنوات إلى عشرين سنة: إذا أفضى التعذيب إلى الموت.

ويقتضي إبلاغ «لجنة الوقاية من التعذيب» بكل قرار قضائي أو تاديبي صادر في قضايا التعذيب أو ضرب من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو المهينة من قبل الجهة التي اتخذته، خلال مهلة شهر من تاريخ صدوره.

4. هل يجوز لمرتكب التعذيب الادلاء بحجج تبرر قيامه بالتعذيب؟

فعل التعذيب يعتبر عملاً غير مباح قانوناً، ولا يجوز لمرتكب جرم التعذيب أن يدلي بحجج وذرائع لتبرير قيامه بالتعذيب، كإدلائه بتنفيذ أوامر السلطة الأعلى أو حالة الضرورة أو مقتضيات الأمن الوطني أو أية ذريعة أخرى. ولا تعتبر الأوامر بالتعذيب الصادرة عن موظف من أية رتبة او سلك او سلطة، أوامر شرعية في أية حال من الأحوال.

5. هل يمرّ الزمن على جرائم التعذيب؟

يسري مرور الزمن على جرائم التعذيب، إلا أنه لا يبدأ بالسريان إلا بعد خروج الضحية من السجن او الإعتقال او التوقيف المؤقت في الحالة التي لا يتبعها سجن.

6. ما مصير الاقوال والاعترافات التي يتم الإدلاء بها نتيجة التعذيب؟

كل الأقوال التي يدلي بها الموقوف نتيجة أي فعل من أفعال التعذيب تعتبر باطلة، ولا تعتبر دليلا يمكن الاحتجاج به، ويجوز لمن ارتكب بحقه جرم التعذيب أن يدلي بهذا الامر، بالإضافة الى أن استجواب المشتبه به يجب ان يكون تحت قاعدة الإدلاء بالأقوال بإرادة حرة واعية، ومن دون استعمال أي وجه من وجوه الإكراه، ولا يجوز إكراهه على الكلام اذا قرر التزام الصمت تحت طائلة بطلان الاستجواب والاجراءات اللاحقة له.

7. اين يتم اللجوء الى القضاء بشأن جرائم التعذيب؟

يمكن لكل متضرر تقديم شكوى أو إخبار:

أمام النيابة العامة في شأن جرائم التعذيب المنصوص عليها في المادة 401 من قانون العقوبات. وعلى النيابة العامة، ضمن مهلة 48 ساعة، ان تقرر إما حفظ الشكوى وإما الادعاء أمام قاضي التحقيق من دون اجراء اي استقصاء او تحقيق أولي في هذا الصدد الا من قبلها شخصياً، باستثناء القرارات الضرورية للمحافظة على الادلة وضبطها، وتكليف طبيب شرعي للكشف على ضحية التعذيب المفترضة اذا لم تكن مرفقات الشكوى او الاخبار تضم تقريراً طبياً.

أمام قاضي التحقيق الناظر في الدعوى، وفي هذه الحالة يتوجب على القاضي أن يتولى بنفسه القيام بجميع اجراءات التحقيق في شأن أفعال التعذيب من دون استنابة الضابطة العدلية أو أي جهاز امني اخر للقيام بأي إجراء باستثناء المهمات الفنية.

أمام «الهيئة الوطنية لحقوق الانسان المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب» التي يحق لها أن تتلقى الاخبارات والشكاوى المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان في لبنان من أي شخص طبيعي أو معنوي، لبنانياً كان أو غير لبناني، ولها أن تتقصّى الوقائع والأدلة المتعلقة بها، وتساهم في معالجتها.

8. كيف يمكن إقامة الدليل على جرائم التعذيب؟

يحق للمشتبه به تقديم طلب مباشر، او بواسطة وكيله او احد افراد عائلته الى النائب العام، بعرضه على طبيب شرعي متخصص بالصحة الجسدية او النفسية لمعاينته على نفقة الخزينة العامة. وعلى الطبيب ان يجري المعاينة الجسدية او النفسية من دون حضور اي من الضباط العدليين، وان يرفع تقريره الى النائب العام في مدة لا تتجاوز أربعاً وعشرين ساعة.

تجدر الإشارة إلى أن اجراءات الاستجواب او الاستماع الى اقوال المشكو منه يقتضي أن تكون مصورة بالصوت والصورة بدءاً من لحظة تلاوة حقوقه المذكورة في قانون تعزيز الضمانات الاساسية وتعزيز حقوق الدفاع الصادر سنة 2020، على ان ترفق التسجيلات بمحضر التحقيقات الاولية تحت طائلة بطلان المحضر والاجراءات اللاحقة له، علما أن إلزامية التسجيلات الصوتية يعمل بها بعد انقضاء مهلة شهرين من تاريخ صدوره في الجريدة الرسمية في 2020/10/22.

9. ما هي الهيئة الوطنية لحقوق الانسان المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب؟

هي هيئة مستقلة تسمى «الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان» تتمتع بالشخصية المعنوية وبالاستقلال الإداري والمالي، تتضمن لجنة دائمة تدعى «لجنة الوقاية من التعذيب» تتالف من 10 أعضاء، خمسة منهم أعضاء في اللجنة الوطنية للوقاية من التعذيب، يعيّنون جميعاً بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء لمدة ست سنوات غير قابلة للتجديد، وتضم: قاضياً سابقاً، محامياً خبيراً في القانون الجزائي أو قانون حقوق الانسان أو القانون العام، محامياً خبيراً في القانون الدولي، طبيباً مختصاً بالطب النفسي، طبيباً مختصاً بالطب الشرعي، استاذاً جامعياً مختصاً بحقوق الإنسان او الحريات العامة، صحافياً أو محرراً صحافياً، 3 من الناشطين في حقوق الإنسان.

اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة او العقوبة القاسية او اللاانسانية او المهينة – موقع مفوضية الامم المتحدة لحقوق الانسان

بروتوكول اختياري لاتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة او العقوبة القاسية او اللاإنسانية او المهينة

ما هي مهام «لجنة الوقاية من التعذيب» وصلاحياتها؟

زيارة أماكن الحرمان من الحرية: ولها الصلاحية المطلقة لدخول وزيارة كل اماكن الحرمان من الحرية ومنشآتها ومرافقها في لبنان من دون أي استثناء، وذلك بهدف حماية الأشخاص المتواجدين فيها من التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاانسانية أو المهينة ومن التوقيف التعسفي.

التعاون مع هيئات المجتمع المدني الناشطة في مجال الاهتمام بالاشخاص المحرومين من حريتهم.

الحصول على أية معلومات من الجهات المعنية لا سيما حول: عدد ومواقع أماكن الحرمان من الحرية والهوية الكاملة لكل الأشخاص المحرومين من حريتهم وأمكنة احتجازهم وتاريخ بدء احتجازهم ومدته والمرتكز القانوني للإحتجاز.

الاطلاع على مضمون وسير الشكاوى أو الإدعاءات أو الدفوع المقدمة للجهات القضائية أو التأديبية أو الإدارية والتي يدلى فيها بالتعرض للتعذيب أو ضرب من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو المهنية.

وضع ملاحظاتها وتوصياتها ومقترحاتها بشأن أماكن الحرمان من الحرية وأوضاع الاشخاص المحرومين من الحرية.

إبلاغ السلطات الادارية والقضائية المختصة بوضعية الاشخاص المحتجزين بصورة تعسفية.

واتخاذ الإجراءات القانونية والقضائية المناسبة بهذا الصدد والآيلة الى وضع حد لعدم مشروعية احتجازهم.

إبداء رأيها وتقديم الملاحظات والتوصيات والمقترحات في مشاريع القوانين أو التعديلات المقترحة على القوانين النافذة والتي لها علاقة بموضوع معاملة الاشخاص المحرومين من حريتهم واحتجازهم وظروف أماكن الحرمان من الحرية وإجراءات المحاكمة العادلة.

حق التواصل مباشرة مع اللجنة الفرعية لمنع التعذيب التابعة للامم المتحدة وموافاتها بالمعلومات عند الإقتضاء، كما لها أن تجتمع بها دورياً أو كلما دعت الحاجة.

باسم الشعب

برّأتها المحكمة لأنها حُرمت من حقوقها

احتُجزت عاملة اجنبية غانية الجنسية، إدارياً، منذ 22/10/2021 بتهمة سرقة زوجة مخدومها. بعد عشرة اشهر قرر القضاء إعلان براءتها والتحقيق مع المسؤولين عن توقيفها لعدم احترامهم القوانين المرعية التطبيق، لا سيما قانون اصول المحاكمات الجزائية وقانون تعزيز الضمانات وتفعيل حقوق الدفاع. ومن المخالفات المرتكبة في هذه القضية عدم إعلام الموقوفة بالحقوق المنصوص عنها في المادة 47 من قانون اصول المحاكمات الجزائية الا بعد ادلائها باقوالها، وعدم الاستعانة بمترجم محلّف وتكليف زوجة المدعي بالترجمة

■ صادق علوية

في 2021/10/22، ادّعى أحد المواطنين بأن عاملة منزل غانية تعمل لديه أقدمت على سرقة أموال ومجوهرات تعود لزوجته، وأنه عثر على إسوارتين و«بلاك» ذهبي وقطعة «حلق» من الألماس بين الاغراض الشخصية للعاملة.

وقد تبيّن للقاضي المنفرد الجزائي (المناوب) في بعبدا شادي قردوحي أنه خلافاً للقانون الذي ينص على إعلام المدّعى عليها بحقوقها القانونية قبل الاستماع اليها، فإن ذلك لم يجر إلا بعد إدلاء الموقوفة بإفاداتها، واعترافها بالسرقة بحسب الضابطة العدلية. وبدراسة الملف، تبين للقاضي في سياق التحقيق الاستنطاقي، أن العاملة نفت ما نُسب اليها، وأدلت بأنها لا تعرف شيئاً عن الاغراض التي عُثر عليها بين أمتعتها، واتهمت كفيلتها - زوجة المدعي - بوضع المسروقات بين أغراضها، وأوضحت أنها تعمل لدى مخدومها منذ سنة وشهرين مقابل 200 دولار شهرياً، الا أنه لم يدفع لها راتبها في الشهرين الأخيرين، وقد يكون ذلك سبب اتهامها بالسرقة. وأنكرت العاملة ما أُسند اليها في إفادتها الأولية مشيرة إلى زوجة المدّعي هي التي ترجمت أقوالها كونها لا تجيد العربية، وبالتالي لا تعلم بما دُوِّن في الافادة. ما يثير شكوكاً لعدم جواز الاستعانة بالخصم للترجمة لخصمه، علماً أن قانون تعزيز الضمانات وتفعيل حقوق الدفاع الصادر عام 2020 ينص على حق المشتبه به بالاستعانة بمترجم محلّف اذا لم يكن يحسن اللغة العربية، ولكل اجنبي من دولة لا تكون العربية لغتها الرسمية، على ان يصار الى تعيين المترجم في أسرع وقت ممكن، مع إمكان الاستعانة بمترجم غير محلف شرط الا يباشر مهمته الا بعد ان يحلف اليمين.

واعتبر القاضي قردوحي في حكمه أن عيوباً اعترت الادعاء العام، اهمها:

- عدم التأكد مما اذا كانت المدعى عليها تعمل لدى المدعي أو زوجته.
- عدم بيان اسم والد ووالدة المدعى عليها.
- عدم تدوين ما اذا كانت المدعى عليها تجيد العربية في التحقيق الأولي.
- ادلاء المدعى عليها بأن زوجة المدعي هي التي ترجمت أقوالها في مرحلة التحقيق الأولي، علماً أنه لم يذكر ذلك من قبل القائمين بالتحقيق.
- عدم اعلام المدعى عليها بالحقوق المنصوص عنها في المادة 47 من

> **زوجة المدعي تولت ترجمة إفادة المدعى عليها رغم عدم جواز الاستعانة بالخصم للترجمة لخصمه**

قانون أصول المحاكمات الجزائية من قبل القائمين بالتحقيق الأولي الا بعد ادلائها باقوالها.

- عدم الاستعانة بمترجم محلّف في التحقيق الأولي.

لذلك، قرر القاضي قردوحي اعلان بطلان افادة المدعى عليها وبراءتها لعدم كفاية الدليل، وإبلاغ صورة طبق الأصل عن هذا الحكم إلى النائب العام الاستئنافي في جبل لبنان لاتخاذ ما يراه مناسباً من اجراءات، وكذلك إلى المفتشية العامة في وزارة الداخلية لاتخاذ الاجراءات المسلكية المناسبة بحق المخالفين من رجال قوى الأمن الداخلي، واعتبار ذلك بمثابة تقرير عملاً بأحكام المادة 175 أ.م.ج.، لأن القاضي المنفرد ينظر في الملف بصورة شخصية ولا يحق له ان يتناول غير الاشخاص المدعى عليهم ويتوجب عليه، عند توافر ادلة في حق اشخاص غير المدعى عليهم، ان ينظم تقريرا بالامر ويحيله الى النائب العام من دون تأخير، وهذا فعله.

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com